

نزار قباني

❖ القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى

❖ اختيار: فادية غيبور

❖ سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (22).

❖ اتحاد الكتاب العرب

❖ أيلول 2008

القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى

اختيار: فادية غيبور

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (22)
أيلول 2008

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: E-mail unecriv@net.sy
.syetaru@n
موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
m.orgdawww.awu-

إخراج: سنديا عثمان



نزار وارتعاش الروح

أ.د. حسين جمعة

نزار قباني شاعر عربي ذو نكهة خاصة، وناثر ذو أفكار متميزة ودقيقة؛ ودبلوماسي من نمط رفيع... سارت الألسنة بذكره، وأشرقت الأوراق بوهج أنوار التعبير عنه، وارتعشت الأرواح بصوره الشعرية المبتكرة والجريئة، ولهجت المنابر بأصوات النقاد والباحثين في آثاره التي ثار حولها جدل عظيم، ولكنها أغنت المكتبة العربية... إذ ندر أن ماثله أديب عربي وكأنه غدا متنبئ العصر، فقد (ملأ الدنيا وشغل الناس)، منذ أربعينيات القرن العشرين حتى وفاته بذبحه قلبية في لندن في (1998/4/30م) ونقل جثمانه إلى دمشق، فشيحته بجنزة رسمية وشعبية مهيبة وعظيمة. فإذا كان الموت أمراً عادياً للناس فإن موت المبدعين - وبهذه الطريقة القاسية - يعدّ فاجعة كبرى...

لهذا كله لقي نزار حفاوة كبرى من النقاد والشعراء باعتباره واحداً من الثائرين على التقاليد الاجتماعية والفنية، ومؤسساً لأنماط شعرية متميزة في جيل كان يتسابق إلى الريادة، والكفّ عن التقليد الفاجع في التجارب الشعرية. ولعل احتفالية وزارة الثقافة في سورية

به في الفترة (3-2008/8/9م) بعنوان (تحية إلى نزار) بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاته تعد واحدة من تلك الاحتفاليات التي عُنيت به. وُلد نزار بحّي (منذنة الشحم بدمشق) في (21/3/1923م) وهو ثاني خمسة إخوة (أربعة ذكور وأنثى) (رشيد ومعتز وصباح، وهيفاء)⁽¹⁾. وماتت أمه مبكراً بعد أن تعلق بها؛ حتى صارت تشكل له الدنيا كلها، علماً أنه الطفل المدلل لديها⁽²⁾.

وكان والده توفيق قباني أقيق متوسط الحال "لم يكن غنياً ولم يجمع ثروة، وكل مدخوله من" صناعة الحلوى، وبيعها، ويساعده بذلك الفتى نزار...⁽³⁾.

وعلى الرغم من انتماء نزار إلى عائلة (أقيق) التركية الأصل التي قَدِمَتْ إلى دمشق واستقرت بها، فقد ظهر نبوغه الشعري وهو في السادسة عشرة إذ ورث الحساسية الفنية والأدبية من قريبه المؤلف المسرحي والشاعر الملحن (أبو خليل القباني) على حين كان يستوعب إرشادات أستاذه الشاعر خليل مردم بك وهو يدرس الثانوية العامة في الكلية العلمية الوطنية بدمشق والتي حاز الثانوية منها ثم دخل الجامعة السورية (كلية الحقوق) وتخرّج فيها سنة (1945م)⁽⁴⁾... وفي هذه المرحلة أصدر ديوانه الأول سنة (1944م) بعنوان (قالت لي السمراء)⁽⁵⁾، ثم أصدر بعد ذلك ما يربي على (40)

(1) الأعمال الكاملة 209/7-211.

(2) انظر الأعمال الكاملة 529/1-538- و 342/7.

(3) الأعمال الكاملة 209/7-211.

(4) انظر الأعمال الكاملة 222/7. وما بعدها.

(5) انظر الأعمال الكاملة 80-15/1 — الكتاب الأول.

مجموعة شعرية، فضلاً عن نشره؛ وكله جُمع في الأعمال الكاملة التي طبعتها (منشورات نزار قباني) في بيروت - ط2.

تزوج مرتين؛ الأولى من ابنة عمه (زهراء) وأنجبت له ولدين (هدباء وتوفيق)، أما توفيق فقد مات بمرض القلب وعمره نحو (24) سنة دون أن تقدر مشافي لندن على إنقاذه، فحزن عليه حزناً شديداً، ورثاه بقصيدة عنوانها (الأمير الدمشقي توفيق قباني). ولما طلق (زهراء) تزوج (بلقيس الراوي) العراقية وأنجب منها - أيضاً - ولدين (عمر وزينب)، بيد أن بلقيس قتلت في انفجار وقع للسفارة العراقية ببيروت في (15/12/1981م) فبكاها بكاءً مرّاً، ورثاها بقصيدة حملت اسمها، وسارت بها الألسن لما فيها من صدق التوجع والحسرة ولاسيما حين حمل الوطن العربي مقتلها. ومن ثم عزف عن الزواج بعدها، وراح يراقب حالة الحزن والوحشة والانكسار التي يمرّ بها الوطن العربي فيجري إلى خندق الشعر لبصوغ منه تجربته في الحياة وفي الفن كعادته. فقصيدته في بلقيس لا تكتفي بالحديث عن الأمكنة التي تملأ كيانه، والتي التقى في فضاءاتها زوجته الراحلة، ولكنه يصوغ فيها سيرة مضمخة بالأسى والحزن وهو يناجي بلقيس ويردد اسمها معبراً عن زمن الضعف العربي، فضلاً عما ترمز إليه من تجرع الهمّ والأسى المتزايد من الواقع البائس، إنه يتوكأ على صور شعرية مضمخة بالألم النفسي المكثف للإيحاء بالقهر والعجز، والمعبر عن سخرية مرة من كل ما يراه، ومما قاله⁽¹⁾:

بلقيس...

إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عَرَبٌ...

ويأكل لحمنا عرب...

ويبقر بطننا عرب...

فكيف نفرّ من هذا القضاء؟

(1) انظر الأعمال الكاملة 4/50-52 و55.

فالخنجر العربي... ليس يقيم فرقاً...
بين أعناق الرجال...
وبين أعماق النساء...

.....

الحزن يا بلقيس
يعصر مهجتي كالبرتقالة
الآن أعرف مآزق الكلمات
أعرف ورطة اللغة المحالة...
وأنا الذي اخترع الرسائل
لست أدري... كيف أبتدئ الرسالة⁽¹⁾

عمل نزار قباني في الحقل الدبلوماسي إثر تخرجه في كلية الحقوق (1945م) حتى قَدِمَ استقالته منه عام (1966م) وتنقل في بلدان عدة دبلوماسياً وسفيراً مثل (القاهرة وبيروت ومدريد وبكين ولندن وأنقرة...). ولندن كانت آخر محطة له في حياته إذ عاش فيها سنواته الخمس عشرة الأخيرة، على الرغم من أنه كان يرحل إلى باريس وجنيف وغيرهما. وكان يتقن عدداً من اللغات منها الإنكليزية والإسبانية.

وقد أشعل نزار خلال (50) سنة معارك اجتماعية ودينية وسياسية وأدبية تركزت في الحب والثورة والسياسة، إذ ثار على عادات مجتمعه وتقاليده؛ وهي العادات التي أدت إلى انتحار أخته هيفاء حين أجبرت على الزواج من رجل لا تحبه... وقد أغضبت قصيدته (خبز وحشيش وقمر) رجال الدين في سورية وطالبوا بشنقه

⁽¹⁾ انظر أيضاً قصيدته (25 وردة في شعر بلقيس) في الأعمال الكاملة 273-252/4.

وطرده من السلك الدبلوماسي⁽¹⁾. وعُدَّ أول شاعر تناقش قصائده في البرلمان السوري. علماً أن قصيدته تلك ليست أكثر من نقد لاذع لما يعاني منه الوطن في مجالات شتى ومنها:⁽²⁾

ما الذي يفعله فينا القمر؟
فَنُضِيعُ الكبرياء
ونعيش لنستجدي السماء
ما الذي عند السماء؟
لكسالى ضعفاء
يستحيلون إلى موتى إذا عاش القمر
ويهزّون قبور الأولياء
علها ترزقهم رزاً... وأطفالاً...

أما قصيدته (هوامش على دفتر النكسة) فقد أجمت نار الثورة في نفسه وغيّرت مسار أدبه، فتحوّل به من الغزل الخالص إلى القصيدة السياسية التي تتركز حول السخرية من الذل والمهانة التي أحدثتها النكسة في الأمة العربية، إذ كسرت النفس العربية، حتى عجزت الأيام عن إصلاحها. فحزيران (كان ثمرة شديدة المرارة، بعضنا أكلها... وبعضنا اعتاد تدريجياً على مذاقها... وبعضنا تقيأها فوراً...) وكان نزار من الذين أضربوا عن الطعام ورفض (الاعتراف بالجنين المشوّه الذي طرحه رحم حزيران)⁽³⁾.

(1) انظر الأعمال الكاملة 221/7 و 15/3.

(2) الأعمال الكاملة 8/3 - 19.

(3) انظر الأعمال الكاملة 408/7-409 وما بعدهما، والقصيدة في (471/6).

وفي ضوء ذلك تعدّ قصيدة (هوامش على دفتر النكسة) فاتحة لما يسمى بالأدب الحزيراني (نسبة إلى حزيران النكسة) لأنها نشرت بعد الخامس من حزيران بأيام، وقد سبقَت قصيدة أمل دنقل (اليكاء بين يدي زرقاء اليمامة)... والأدب الحزيراني شاع في الشعر ابتداءً ثم انتقل إلى بقية الأجناس الأدبية. وهو القائل فيها⁽¹⁾:

يا وطني الحزين
حولتني بلحظة
من شاعر يكتب شعر الحب والحنين
لشاعر يكتب بالسكين

.....
لأن ما نُحسُّه
أكبر من أوراقتنا...
لابدّ أن نخجل من أشعارنا

.....
إذا خسرنا الحرب، لا غرابة
لأننا ندخلها
بكل ما يملكه الشرقي من مواهب الخطابة
بالعنتریات التي ما قتلت ذبابه
لأننا ندخلها
بمنطق الطبلّة والرّبابه

لذلك كله صدر قرار بمنع أشعاره المغناة في التلفاز والإذاعة... ولست الآن بصدد التوسع في ذلك إذ صار له أعداء كثيرون. فتجربته الحياتية والأدبية أرسّت كثيراً من الأبعاد والاتجاهات الأدبية والفكرية

⁽¹⁾ انظر الأعمال الكاملة 69/3 وما بعدهما، و471/6 وما بعدهما.

لا نجده عند شاعر آخر وحين كان يثير جدلاً عريضاً في أوساط المجتمع عامة والمتقنين خاصة فقد تركّز هذا الصراع والجدل في السنوات الأخيرة حول قصائده السياسية التي كتبها من لندن بعد هزيمة (1967م) ولأسيما قصائده (متى يعلنون وفاة العرب - والمهولون - وبيان ضد كل شيء) - وغيرها⁽¹⁾... ومن ثم فلا غرو أن نجد الفنانين العرب يقبلون على أشعاره يغنونها، مثل أم كلثوم التي غنت له (أصبح عندي الآن بندقية - ورسالة عاجلة) وفيروز التي غنت (وشاية - ولا تسألوني ما اسم حبيبي) وعبد الحليم حافظ الذي غنى (رسالة من تحت الماء - وقارئة الفنجان). وكذلك غنت بعض قصائده (نجاة الصغيرة وفايزة أحمد) وأخيراً (ماجدة الرومي وكاظم الساهر) وآخرون...

وإذا كان نزار قد كتب شيئاً غير قليل من سيرته في كتابه (قصتي مع الشعر)⁽²⁾ الذي يعدُّ نمطاً من السيرة الذاتية فإنه ما فتئ يصدح بعشقه لشام الدنيا "دمشق" التي أحبها حتى النخاع. فهي المحبوبة الفاتنة الساحرة التي خطفت قلبه وتغلّغت في حشايشه، وسيطرت على لَبِّه وفؤاده، فراح يغني لها أجمل القصائد ويصف ياسمينها وأزهارها وحاراتها وبيوتها وأزقتها، وهو الطفل الذي ولدَ في بيت واسع، من بيوتها الذي تنساب فيه جداول الماء، ويزدان بأشجار النارج والياسمين فيرند من خلال دمشق إلى طفولته حتى صارت طفولته مفتاحاً إلى شخصيته وأدبه (وكل محاولة لفهمي خارج دائرة الطفولة هي محاولة فاشلة) كما قال⁽³⁾. فدمشق والطفولة طقسان للإبداع الشعري، واحتفاء بسلطان الزمان والمكان، وفي

(1) انظر الأعمال الكاملة 463/9 و 747 و 637، وانظر فيه 491 و 757.

(2) انظر الأعمال الكاملة 189/7-451 — الكتاب التاسع والعشرون.

(3) الأعمال الكاملة 342/7.

إطارهما وجود قصائده من أجل الإفصاح عن الغرض الجوهري وهو القائل:⁽¹⁾

ألا حظت... كم تشبهين دمشق الجميلة؟
وكم تشبهين المآذن والجامع الأموي.. ورقص السماح
وخاتم أمي...
وساحة مدرستي...
وجنون الطفولة

ولعل أي مستوى لتلقي شعره لا يعطي دمشق وما يحيط بها من أماكن وأنهار وأزهار العناية المناسبة سيظل بعيداً عن التحولات الفنية في القراءة الصحيحة... لهذا كان الشعر لديه سفيراً إلى الماضي، إلى دمشق كلما غابت عنه... كان مدمناً على حبها، وحب كل الأنحاء التي تحيط بها، (والذاكرة بكل أنواعها هي نوع من الارتباط بالماضي والعودة إليه)⁽²⁾.

كان يتغنى بالأمكنة، وكأنها تمثل له جوهر الحقائق والأشياء، فيطوف في كل مكان معلناً عن تقديسه له، وشغفه بملامحه وكأنه أغلى حبيب... وما يني يردّد ذكره حلاوة وتلذذاً حتى يُشعرنا بمدى الاغتراب النفسي الذي يكوي قلبه ويورق فؤاده، فضلاً عن الاغتراب المكاني إذ كان بعيداً في ديار الغرب...⁽³⁾

فنزار عاشق لدمشق الوطن والمولد، حتى صار عشقه لها أعظم من عشقه للمرأة التي تغنى بأوصافها، وذاق لذادة صورها الشعرية حتى الثمالة... ولهذا تغنى بدمشق في قصائد عدّة منها (من مفكرة عاشق دمشقي - ترصيع بالذهب على سيف دمشقي - ومواويل دمشقية

(1) الأعمال الكاملة 460/3.

(2) المرجع السابق، 404/7.

- والوضوء بماء العشق والياسمين - والقصيدة الدمشقية⁽¹⁾ ومما قاله
في قصيدة (موال دمشقي)⁽²⁾:

لقد كتبنا... وأرسلنا المراسيلا
وقد بكينا... وبللنا المناديل
قل للذين بأرض الشام قد نزلوا
قتيلكم لم يزل بالعشق مقتولا
يا شامُ، يا شامة الدنيا ووردها
يا من بحسبك أوجعت الأزاميلا
وددت لو زرعوني فيك منذنة
أو علقوني على الأبواب قنديلا
يا بلدة السبعة الأنهار يا بلدي

⁽¹⁾ انظر الأعمال الكاملة 3/415-444 و 499-520 و 6/409-446.

⁽²⁾ انظر الأعمال الكاملة 517-520.

ويا قميصاً بزهر الخوخ مشغولاً
هواك يا بردى كالسيف يسكنني
وما ملكت لأمر الحب تبديلاً
أيام في دُمر كنا... وكان فمي
على ضفائرها حفراً وتنزيلاً
يا شام، إن كنت أخفي ما أكابده
فأجمل الحب حب - بعدُ - ما قيلاً

فدمشق - عنده - تكتنه الوطن كله ولهذا لا يضير الباحث أن
يصفه بأنه غداً شاعراً وطنياً بمثل ما أضحى شاعراً قومياً حين كان
يتخذ اللغة الساحرة من حال أمته وقد هانت أمام شذاذ الأفاق فطفق
ينفخ في أبنائها روح التحدي والنضال والتحرر والتقدم والوحدة، ولا
شيء أدلّ عليه من قصيدته (حزب الحزن) ومنها قوله⁽¹⁾:

إذا كان الوطن منفيّاً مثلي...
ويفكر بشرأشف أمه البيضاء مثلي...

(1) انظر الأعمال الكاملة 127/6.

وبقطة البيت السوداء، مثلي...
إذا كان الوطن ممنوعاً من ارتكاب الكتاب مثلي...
وارتكاب الثقافة مثلي...
فلماذا لا يدخل إلى المصلحة التي نحن فيها؟!
لماذا لا يكون عضواً في حزب الحزن
الذي يضمّ مئة مليون عربي؟؟؟
لهذا كان يحسّ بألم الاغتراب عن وطنه لأنه يعيش في داخله
وفق ما قرّره في قصيدته (وطن بالإيجار) ومنها⁽¹⁾:

يا سيدتي:
إن النملة تملك وطناً
إن الدودة تملك وطناً
إن الضفدع يملك وطناً

.....
وأنا ما ملّكني أحد وطناً
ولذا أسكن يا سيدتي
وطناً بالإيجار

لذلك كله تعدّ الكتابة حول نزار قباني وأدبه من أصعب أنواع
الكتابة، وبخاصة أنه كتب نثره بأشكال أشبه أن تكون أشكالاً شعرية؛
وهو ينساب رقة وعذوبة وإشراقاً كما تنساب القصيدة الرائعة...
فاللغة لديه لغة مسكونة بالشعرية والشفافية والأخيلة المبتكرة،
والانفعال الصادق سواء كانت شعراً أم نثراً، علماً أنها لم تكن لتتخلّى
عن التراث صورياً ومعاني وتوظيفاً... فهو يلتفت إلى التجربة
الشعرية من خلال التوظيف الشعري للقصيدة العربية سواء كانت

⁽¹⁾ المرجع السابق، 188/6.

قديمة أم حديثة، وإن صمّم على تحرير قصيدته من الأنماط القديمة المعروفة... وتحدي المسكوت عنه أو الممنوع حياة وفناً...

وإذا كان نزار قد بدأ شاعراً على المنهج التقليدي العمودي، وراح يجرب شعر التفعيلة فإنه ظل يجرب في الأشكال الأدبية التي أنتجت لديه في ثمانينيات القرن العشرين حالة أدبية نثرية ثم نقدية أثارت عواصف قوية... ولاسيما حين لجأ إلى قصيدة النثر في مجموعته (كل عام وأنت حبيبتي) عام 1978م⁽¹⁾. وبهذا كان يشكل الحداثة الشعرية بأشكالها النظرية ومرجعياتها العديدة شرقية وغربية، دون أن يقع في مطب الانفصال عن التراث وقيمه إذا توافقت مع تطلعاته ومعايير... ومن ذلك قوله في قصيدة (قرص الأسبرين)⁽²⁾:

يا وطني:

يا أيها الضائع في الزمان والمكان

والباحث في منزل العُربان...

عن سقف وعن سرير

فالوطن المُنْ أجله مات صلاح الدين

يأكله الجائع في سهولة...

كعلبة السردين...

والوطن المُنْ أجله قد غُتَّ الخيول في حطين

يبلعه الإنسان في سهولة...

كقرص أسبرين!!!.

فالشاعر العربي الكبير كان يكتشف مرارة الألم العربي ويصوغ مشاعره بجمالية شفافة رقيقة ومؤثرة دون محاباة أو

(1) انظر الأعمال الكاملة 597/2-719 – الكتاب الخامس عشر.

(2) انظر الأعمال الكاملة 59/6، وانظر فيه 409-440.

مداورة... فحين غنى للوطن بهذه التعبيرات الواضحة كان يصر على إدانة النظام العربي الرسمي الذي أوصل الوطن العربي إلى حالة أقرب إلى الضياع. ولهذا كان يغوص في التراث العربي الزاهر ليدين الحاضر البائس، فجلب منه معارك صلاح في حطين... فشعوره يتراوح بين نمطين مضادين من العواطف: الحبّ والسخط، فهو يحب وطنه حباً جنونياً لكنه يكره كرهاً عظيماً ما آلت إليه أوضاعه... لم يكن نزار قباني شاعراً عادياً بل كان شاعراً يمارس مفهوم الشعر إلى حدّ الوجع، (والكتابة - [عنده] - هي أعلى درجات التورط)⁽¹⁾. لذلك كله كان علينا أن نقدم هذه الاختيارات بين يدي القارئ في الذكرى العاشرة لوفاته وبمناسبة الاحتفال بدمشق عاصمة للثقافة العربية لعام (2008م)... راجين أن تكون بألوانها الفنية عوناً للقارئ العربي...

(1) الأعمال الكاملة 309/7.

القصيدة الدمشقية

هذي دمشق.. وهذي الكأس والراحُ
إني أحبّ... وبعض الحب ذبّاحُ
أنا الدمشقي.. لو شرحتم جسدي
لسال منه عناقيدُ.. وتفاح
و لو فتحتُم شراييني بمديتكم
سمعتُم في دمي أصوات من راحوا

زراعة القلب.. تشفي بعض من عشقوا

وما لقلبي -إذا أحببت- جراحُ
مآذن الشام تبكي إذ تعانقني
و للمآذن.. كالأشجار.. أرواح
للياسمين حقوقٌ في منازلنا..
وقطة البيت تغفو حيث ترتاح
طاحونة البنّ جزءٌ من طفولتنا
فكيف أنسى؟ وعطر الهيل فواح
هذا مكان "أبي المعتز" .. منتظرٌ
ووجه "فائزة" حلوٌ و لمّاح
هنا جذوري.. هنا قلبي... هنا لغتي
فكيف أوضح؟ هل في العشق إيضاح؟
كم من دمشقيةٍ باعت أساورها

حتى أغزلها... والشعر مفتاحُ
أتيت يا شجر الصفصاف معذراً
فهل تسامح هيفاءً.. ووضاح؟
خمسون عاماً.. وأجزائي مبعثرة
فوق المحيط.. وما في الأفق مصباح
تقاذفتي بحارٌ لا ضفاف لها..
وطاردتني شياطينٌ وأشباح
أقاتل القبح في شعري وفي أدبي
حتى يفتح نوارٌ... وقдах
ما للعروبة تبدو مثل أرملة؟
أليس في كتب التاريخ أفراح؟
والشعر.. ماذا سيبقى من أصالته؟

إذا تولاه نصَّابٌ ... ومدَّاحُ؟
وكيف نكتب والأقفال في فمنا؟
وكل ثانيةٍ يأتيك سقَّاح؟
حملت شعري على ظهري فأتعبني
ماذا من الشعر يبقى حين يرتاح؟

ترصيع بالذهب على سيف دمشق

أتراها تحبني ميسون..؟
أم توهمت والنساء ظنونُ
كم رسول أرسلته لأبيها
ذبحته تحت النقاب العيونُ
يا بنة العمّ... والهوى أمويُّ
كيف أخفي الهوى وكيف أبينُ

كم قُتلنا في عشقنا وبعثنا

بعد موت وما علينا يمينُ
ما وقوفي في الديار وقلبي
كجبيني قد طرزه الغصونُ
لا ظباء الحمى رَدَدْنَ سلامي
والخلايلُ ما لهنَّ رنينُ
هل مرايا دمشق تعرف وجهي
من جديد أم غيرتني السنينُ؟
يا زماناً في الصالحية سمحاً
أين مني الغوى وأين الفتونُ؟
يا سريري.. ويا شراشف أُمي
يا عصافير.. يا شذا، يا غصونُ

يا زورايب حارتي.. خبّيني

بين جفنيك فالزمان ضنينُ
واعذريني إن بدوت حزيناً
إن وجه المحبّ وجه حزينُ
ها هي الشام بعد فرقة دهر
أنهر سبعة .. وحوار عينُ
النوافير في البيوت كلامُ
والعناقيد سكر مطحونُ
والسماءُ الزرقاءُ دفتر شعر
والحروف التي عليه .. سنونو ..
هل دمشق كما يقولونَ كانتُ
حين في الليل فكر الياسمينُ ؟

آه يا شام.. كيف أشرح ما بي

وأنا فيك دائماً مسكونُ
سامحيني إن لم أكشفك بالعشق
فأحلى ما في الهوى التضمينُ
نحن أسرى معاً وفي قفص الحب
يعاني السجانُ والمسجونُ
يا دمشقُ التي تقمصتُ فيها
هل أنا السرو .. أم أنا الشربينُ ؟
أم أنا الفلُّ قي أباريق أمِّي
أم أنا العشبُ والسحابُ الهتونُ
يا دمشقُ التي تفتّى شذاها
تحت جلدي كأنه الزيزفونُ
سامحيني إذا اضطربت فإني

لا مَقْفَى حبي ولا موزونُ
وازرعيني تحت الصفائر مشطاً
فأريك الغرام كيفَ يكونُ
قادم من مدائن الريح وحدي
فاحتضني، كالطفل، يا قاسيونُ
احتضني .. ولا تناقش جنوني
ذروة العقل يا حبيبي الجنونُ
أهي مجنونة بشوقي إليها
...
هذه الشام، أم أنا المجنون؟
إن تخلت كلّ المقادير عني
فبعيني حبيبتني أستعينُ

جاء تشرين يا حبيبة عمري

أحسن وقت للهوى تشرينُ
ولنا موعد على جبل الشيخ
كم الثلج دافئ.. وحنونُ
سنوات سبع من الحزن مرّت
مات فيها الصفصاف والزيتونُ
شام.. يا شام.. يا أميرة حبي
كيف ينسى غرامه المجنونُ؟
شمس غرناطة أطلّت علينا
بعد يأس وزغردت ميسلونُ
جاء تشرين.. إن وجهك أحلى
بكثير... ما سرُّه تشرينُ ؟

إن أرض الجولان تشبه عينيك

فماءٌ يجري.. ولوز.. وتينُ
مزَّقِي يا دمشق خارطةِ الذل
وقولي للدهر كن فيكونُ
استردَّتْ أيامها بك بدرُ
واستعادت شبابها حطينُ
كتب الله أن تكوني دمشقاً
بك يبدأ وينتهي التكوينُ
هُزِمَ الروم بعد سبعِ عجافٍ
وتعافى وجداننا المطعونُ
وقتلنا العنقاءَ في (جَبَلِ الشيخ)
وألقى أضرأسهُ التَّنينُ
صدق السيفُ حاكماً وحكيماً

وحدَه السيفُ يا دمشقُ اليقينُ
اسحبي الذيلُ يا قنيطرة المجد
وكحل جفنيك يا حرمونُ
سبقتُ ظلّها خيولُ هشام
وأفاقت من نومها السكينُ
علمينا فقه العروبة يا شام
فأنت البيان والتبيينُ
علمينا الأفعالَ قد دَبَحْتُنَا
أحرفُ الجرِّ والكلامِ العجيبُ
علمينا قراءة البرق والرعد
فنصفُ اللغاتِ وحلُّ وطنِ

وطني، يا قصيدة النار والورد

تغنت بما صنعت القرونُ
إن نهرَ التاريخ ينبع في الشام
أُلغى التريخَ طرْحُ هجينُ ؟
نحنُ عكا ونحنُ كرمل حيفا
وجبال الجليل .. واللطرونُ
كل ليمونة ستنجب طفلاً
ومحالُّ أن ينتهي الليمونُ
إركبي الشمس يا دمشق حصاناً
ولك الله ... حافظ و أمينُ

من مفكرة عاشق دمشقي

فرشت فوق ثراك الطاهر الهدبا
فيا دمشق... لماذا نبدا العتبا؟
حبيبي أنت... فاستلقي كأغنية
على ذراعي، ولا تستوضحي السببا
أنت النساء جميعاً.. ما من امرأة
أحببت بعدك.. إلا خلتها كذبا
يا شام، إن جراحي لا ضفاف لها

فمستحي عن جبیني الحزن والتعبا
وأرجعيني إلى أسوار مدرستي
وأرجعي الحبر والطبشور والكتبا
تلك الزواريب كم كنز طمرت بها
وكم تركت عليها ذكريات صبا
وكم رسمت على جدرانها صوراً
وكم كسرت على أدرجها لعبا
أتيت من رحم الأحزان.. يا وطني
أقبل الأرض والأبواب والشهبا
حبي هنا.. وحببياتي ولدن هنا
فمن يعيد لي العمر الذي ذهب؟
أنا قبيلة عشاق بكاملها

ومن دموعي سقيت البحر والسحبا
فكل صفصافةٍ حوَّلَتْها امرأةٌ
و كل مئذنةٍ رصَّعَتْها ذهباً
هذي البساتين كانت بين أمتعي
لما ارتحلتُ عن الفيحاء مغترباً
فلا قميص من القمصان ألبسه
إلا وجدت على خيطانه عنياً
كم مبحر.. وهموم البرِّ تسكنه
وهاربٍ من قضاء الحب ما هرباً
يا شام، أين هما عينا معاويةٍ
وأين من زحموا بالمنكب الشهباً
فلا خيولُ بني حمدان راقصةٌ

زهوا... ولا المتنبي مالى حلبا
وقبر خالد في حمص نلامسه
فيرجف القبر من زواره غضبا
يا رب حي.. رخام القبر مسكنه
ورب ميت.. على أقدامه انتصبا
يا بن الوليد.. ألا سيفٌ تؤجره؟
فكل أسيفنا قد أصبحت خشبا
دمشق، يا كنز أحلامي ومروحتي
أشكو العروبة أم أشكو لك العربا؟
أدمت سياط حزيران ظهورهم
فأدمنوها.. وباسوا كف من ضربا
وطالعوا كتب التاريخ.. واقتنعوا

متى البنادق كانت تسكن الكتب؟
سقوا فلسطين أحلاماً ملونة
وأطعموها سخيْف القول والخطبا
وخلفوا القدس فوق الوحل عارية
تبيح عزة نهديها لمن رغبا..
هل من فلسطين مكتوبٌ يطمئنني
عمّن كتبت إليه.. وهو ما كتباً؟
وعن بساتين ليمون، وعن حلم
يزداد عني ابتعاداً.. كلما اقتربا
أيا فلسطين.. من يهديك زنبقة؟
ومن يعيد لك البيت الذي خرباً؟
شردت فوق رصيف الدمع باحثة

عن الحنان، ولكن ما وجدت أبا
تلفتي... تجدينا في مبادلنا..
من يعبد الجنس، أو من يعبد الذهبا
فواحدُ أعمت النعمى بصيرته
فراح يعطي الغواني كل ما كسبا
وواحدُ ببحار النفط مغتسلُ
قد ضاق بالخيش ثوباً فارتدى القسبا
وواحدُ نرجسيُّ في سريره
وواحدُ من دم الأحرار قد شربا
إن كان من ذبوا التاريخ هم نسبي
على العصور.. فإني أرفض النسبا
يا شام، يا شام مافي جعيتي طربُ

أستغفر الشعر أن يستجدي الطربا
ماذا سأقرأ من شعري ومن أدبي؟
خوافر الخيل داست عندنا الأدبا
وحاصرتنا.. وأدنتنا.. فلا قلم
قال الحقيقة إلا اغتيل أو صلبا
يا من يعاتب مذبحاً على دمه
ونزف شريانه، ما أسهل العتبا
من جرب الكي لا ينسى مواجهه
ومن رأى السم لا يشقى كمن شربا
حبل الفجعة ملتف على عنقي
من ذا يعاتب مشنوقاً إذا اضطربا؟
الشعر ليس حماماتٍ نظيرها

نحو السماء، ولا نايًا.. وريح صبا
لكنه غضبٌ طالت أظافره
ما أجبن الشعرُ إن لم يركب الغضبا

خمس رسائل إلى أمي

صباح الخير يا حلوه..
صباح الخير يا قديستي الحلوه
مضى عامان يا أمي
على الولد الذي أبحر
برحلته الخرافيه
وخبأ في حقائبه
صباح بلاده الأخضر
وأنجمها، وأنهرها، وكل شقيقها الأحمر
وخبأ في ملابسه
طرابيناً من النعناع والزعر
وليلكة دمشقية..
أنا وحدي..
دخان سجائري يضجر
ومني مقعدي يضجر
وأحزاني عصافير..
تفتش - بعد - عن بيدر
عرفت نساء أوروبا..
عرفت عواطف الإسمنت والخشب

عرفت حضارة التعب..
وطفتُ الهند، طفتُ السند، طفتُ العالم الأصفر
ولم أعر..
على امرأةٍ تمسّط شعري الأشقر
وتحمل في حقيبتها..
إليّ عرائس السكر
وتكسوني إذا أعرى
وتتشلني إذا أعر
أيا أمي..
أيا أمي..
أنا الولد الذي أبحرُ
ولا زالت بخاطره
تعيش عروسة السكر
فكيف.. فكيف يا أمي
غدوت أبا..
ولم أكبر؟
صباح الخير من مدريد
ما أخبارها القلة؟
بها أوصيك يا أماه..
تلك الطفلة الطفلة
فقد كانت أحبّ حبيبةٍ لأبي..
يدللها كطفلته
ويدعوها إلى فنجان قهوته
ويسقيها..
ويطعمها..
ويغمرها برحمته..
.. ومات أبي

ولا زالت تعيش بحلم عودته
وتبحث عنه في أرجاء غرفته
وتسأل عن عباة..
وتسأل عن جريدته..
وتسأل - حين يأتي الصيف -
عن فيروز عينية..
لتنثر فوق كفيه..
دنانيراً من الذهب..
سلامات..
سلامات..
إلى بيت سقانا الحب والرحمة
إلى أزهارك البيضاء.. فرحة "ساحة النجمة"
إلى تختي..
إلى كتيبي..
إلى أطفال حارتنا..
وحيطان ملأناها..
بفوضى من كتابتنا..
إلى قطط كسولات
تنام على مشارقنا
وليلكة معرشة
على شباك جارتنا
مضى عامان.. يا أمي
ووجه دمشق،
عصفور يخرش في جوانحنا
يعض على ستائرنا..
وينقرنا..
برفق من أصابعنا..
مضى عامان يا أمي

وليل دمشق
فلّ دمشق
دور دمشق
تسكن في خواطرنّا
مآذنّها.. تضيء على مراكبنا
كأنّ مآذن الأمويّ..
قد زرعت بداخلنا..
كأنّ مشاتل التفاح..
تعيّق في ضمائرنا
كأنّ الضوء، والأحجار
جاءت كلّها معنا..
أتى أيلول يا أمّاه..
وجاء الحزن يحمل لي هداياه
ويترك عند نافذتي
مدامعه وشكواه
أتى أيلول.. أين دمشق؟
أين أبي وعيناه
وأين حبيب نظرتّه؟
وأين عبير قهوته؟
سقى الرحمن مثواه..
وأين رحاب منزلنا الكبير..
وأين نعماه؟
وأين مدارج الشمشير..
تضحك في زواياه
وأين طفولتي فيه؟
أجر جرّ ذيل قطته
وأكل من عريشته
وأقطف من بنفشاه

دمشق، دمشق..
يا شعراً
على حدقات أعيننا كتبناه
ويا طفلاً جميلاً..
من صفائره صلبناه
جثونا عند ركبته..
وذبنا في محبته
إلى أن في محبتنا قتلناه...

قانا

- 1 -

وجه قانا شاحبُ اللون كما وجه يسوع.
و هواء البحر في نيسان,
أمطار دماء, و دموغ...
- 2 -

دخلوا قانا على أجسادنا
يرفعون العلم النازي في أرض الجنوب.
و يعيدون فصول المحرقة..
هتلرُ أحرقهم في غرف الغاز
و جاؤوا بعده كي يحرقونا..
هتلر هجرهم من شرق أوروبا..
و هم من أرضنا قد هجرونا.
هتلر لم يجد الوقت لكي يمحقهم

و يريح الأرض منهم..
فأتوا من بعده..كي يمحقونا!!..

- 3 -

دخلوا قانا..كأفواج ذئاب جائعة..
يشعلون النار في بيت المسيح..
و يدوسون على ثوب الحسين..
و على أرض الجنوب الغالية..

- 4 -

قصفوا الحنطة, و الزيتون, و التبغ,
و أصوات البلابل..
قصفوا قدموس في مركبه..
قصفوا البحر..و أسراب النوارس..
قصفوا حتى المشافي..و النساء المرضعات..
و تلاميذ المدارس..
قصفوا سحر الجنوبيات
و اغتالوا بساتين العيون العسلية!..

- 5 -

....و رأينا الدمع في جفن علي..
و سمعنا صوته و هو يصلي
تحت أمطار سماء دامية..

- 6 -

كلّ من يكتب عن تاريخ (قانا)

سيسميها على أوراقه:
(كربلاء الثانية)!!

- 7 -

كشفت قانا الستائر..
و رأينا أمريكا ترتدي معطف حاخام يهودي عتيق..
و تقود المجزرة..
تطلق النار على أطفالنا دون سبب..
و على زوجاتنا دون سبب..
و على أشجارنا دون سبب..
و على أفكارنا دون سبب..
فهل الدستور في سيدة العالم..
بالعبري مكتوبٌ.. لإذلال العرب؟؟

- 8 -

هل على كل رئيس حاكم في أمريكا؟
إن أراد الفوز في حلم الرئاسة..
قتلنا نحن العرب؟

- 9 -

انتظرنا عربياً واحداً..
يسحب الخنجر من رقبتنا..
انتظرنا هاشمياً واحداً..
انتظرنا قرشياً واحداً..
دونكشوتاً واحداً..

قبضايأ واحداً لم يقطعوا شاربهُ..
انتظرنا خالداً..أو طارفاً..أو عنترة..
فأكلنا ثرثرة و شربنا ثرثرة..
أرسلوا فاكساً إلينا..استلمنا نصّه
بعد تقديم التعازي و انتهاء المجزرة!!

- 10 -

ما الذي تخشاه إسرائيل من صر خاتنا؟
ما الذي تخشاه من (فاكساتنا)؟
فجهاد الفاكس من أبسط أنواع الجهاد..
فهو نص واحد نكتبهُ
لجميع الشهداء الراحلين..
و جميع الشهداء القادمين!!

- 11 -

ما الذي تخشاه إسرائيل من ابن المققع؟
و جرير ..و الفرزدق؟
و من الخنساء تلقي شعرها عند باب المقبرة..
ما الذي تخشاه من حرق الإطارات..
و توقيع البيانات..و تحطيم المتاجر..
و هي تدري أننا لم نكن يوماً ملوك الحرب..
بل كنا ملوك الثرثرة...

- 12 -

ما الذي تخشاه من قرعة الطبل..
و من شقّ الملاءات..و من لطم الخدود؟
ما الذي تخشاه من أخبار عاد و ثمود؟؟

- 13 -

نحن في غيبوبة قومية
ما استلمنا منذ أيام الفتوحات بريدا...

- 14 -

نحن شعب من عجين.
كلما تزداد إسرائيل إرهاباً و قتلاً..
نحن نزداد ارتخاءً ..و برودا..

- 15 -

وطن يزداد ضيقاً.
لغة قطرية تزداد قبحاً.
وحدة خضراء تزداد انفصالاً.
و حدود كلما شاء الهوى تمحو حدودا!!

- 16 -

كيف إسرائيل لا تذبحنا ؟
كيف لا تلغي هشاماً و زياداً و الرشيدا؟
و بنو تغلب مشغولون في نسوانهم..
و بنو مازن مشغولون في غلمانهم..
و بنو هاشم يرمون السراويل على أقدامها..
و يبيحون شفاهاً ..و نهودا!!

- 17 -

ما الذي تخشاه إسرائيل من بعض العرب
بعد ما صاروا يهودا؟! ...

القدس

بكيتُ.. حتى انتهت الدموغ
صليتُ.. حتى ذابت الشموع
ركعتُ.. حتى ملني الركوع
سألت عن محمدٍ، فيك وعن يسوع
يا قدسُ، يا مدينة تفوح أنبياءُ
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء
يا قدس، يا منارة الشرائع
يا طفلة جميلة محروقة الأصابع
حزينة عيناك، يا مدينة البتول
يا واحة ظليلة مرَّ بها الرسولُ
حزينة حجارة الشوارع
حزينة مآذن الجوامع
يا قدس، يا جميلة تلتف بالسواد
من يقرع الأجراس في كنيسة القيامة؟
صبيحة الأحاد..

من يحمل الألعاب للأولاد؟
في ليلة الميلاد..
يا قدس، يا مدينة الأحرار
يا دمعاً كبيرة تجول في الأجفان
من يوقف العدوان؟
عليك، يا لؤلؤ الأديان
من يغسل الدماء عن حجارة الجدران؟
من ينقذ الإنجيل؟
من ينقذ القرآن؟
من ينقذ المسيح ممن قتلوا المسيح؟
من ينقذ الإنسان؟
يا قدس.. يا مدينتي
يا قدس.. يا حبيبتي
غداً.. غداً.. سيزهر الليمون
وتفرح السنابل الخضراء والزيتون
وتضحك العيون..
وترجع الحمائم المهاجرة..
إلى السقوف الطاهرة
ويرجع الأطفال يلعبون
ويلتقي الآباء والبنون
على رباك الزاهرة..
يا بلدي..

يا بلد السلام والزيتون

أطفال الحجارة

بهررو الدنيا..
وما في يدهم إلا الحجاره..
وأضأؤوا كالفناديل، وجأؤوا كالبشاره
قاوموا.. وانفجروا.. واستشهدوا..
وبقينا ديباً قطبية
صقحت أجسادها ضد الحراره..
قاتلوا عنا إلى أن قتلوا..
وجلسنا في مقاهينا.. كبصاق المحارة
واحدٌ يبحث منا عن تجارة..
واحدٌ.. يطلب ملياراً جديداً..
وزواجاً رابعاً..
ونهدأ صقلتهن الحضارة..
واحدٌ.. يبحث في لندن عن قصرٍ منيفٍ
واحدٌ.. يعمل سمسار سلاح..

واحد.. يطلب في البارات ثاره..
واحد.. يبحث عن عرش وجيش وإمارة..
آه.. يا جيل الخيانات..
ويا جيل العمولات..
ويا جيل النفاياتِ
ويا جيل الدعارة..
سوف يجتاحك -مهما أبطأ التاريخ-
أطفال الحجاره..

منشوراتٍ فِدَائِيَّةٍ على جُذُرِانِ إِسْرَائِيلِ

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هَنُودٍ حمر..

**

فنحن باقون هنا..

في هذه الأرض التي تلبس في معصمها

إسوارهً من زهرٍ

فهذه بلادنا..

فيها وجدنا منذ فجر العمر

فيها لعبنا، وعشقنا، وكتبنا الشعر

مشرشون نحن في خلجانها

مثل حشيش البحر..

مشرشون نحن في تاريخها

في خبزها المرقوق، في زيتونها
في قمحها المصفر
مشرشون نحن في وجدانها
باقون في آزارها
باقون في نيسانها
باقون كالحفر على صلبانها
باقون في نبيها الكريم، في قرآنها..
وفي الوصايا العشر..

2

لا تسكروا بالنصر...
إذا قتلتم خالداً.. فسوف يأتي عمرو
وإن سحقتم وردةً..
فسوف يبقى العطر

3

لأن موسى قطعت يداه..
ولم يعد يتقن فن السحر..
لأن موسى كسرت عصاه
ولم يعد بوسعه شق مياه البحر
لأنكم لستم كأمرىكا.. ولسنا كالهنود الحمر
فسوف تهلكون عن آخركم
فوق صحاري مصر...

4

المسجد الأقصى شهيدٌ جديد
نضيفه إلى الحساب العتيق
وليست النار، وليس الحريق
سوى قناديلٍ تضيء الطريق

5

من قصب الغابات
نخرج كالجَنِّ لكم.. من قصب الغابات
من رزم البريد، من مقاعد الباصات
من علب الدخان، من صفائح البنزين، من شواهد الأموات
من الطباشير، من الألواح، من صفائر البنات
من خشب الصلبان، ومن أوعية البخور، من أغطية الصلاة
من ورق المصحف نأتيكم
من السطور والآيات...
فنحن مبعوثون في الريح، وفي الماء، وفي النبات
ونحن معجونون بالألوان والأصوات..
لن تفلتوا.. لن تفلتوا..
فكل بيت فيه بندقيه
من ضفة النيل إلى الفرات

6

لن تستريحوا معنا..
كل قتلٍ عندنا
يموت آلافاً من المرات...

7

انتبهوا.. انتبهوا...
أعمدة النور لها أظافر
وللشبابيك عيونٌ عشر
والموت في انتظاركم في كل وجهٍ عابر...
أو لفتةٍ.. أو خصر
الموت مخبوءٌ لكم.. في مشط كل امرأةٍ..
وخصلةٍ من شعر..

8

يا آل إسرائيل.. لا يأخذكم الغرورُ
عقارب الساعات إن توقفت، لا بد أن تدور..
إن اغتصاب الأرض لا يخيفنا
فالريش قد يسقط عن أجنحة النسور
والعطش الطويل لا يخيفنا
فالماء يبقى دائماً في باطن الصخور
هزمت الجيوش.. إلا أنكم لم تهزموا الشعور
قطعتم الأشجار من رؤوسها.. وظلت الجذور

9

ننصحكم أن تقرؤوا ما جاء في الزبور
ننصحكم أن تحملوا توراتكم
وتتبعوا نبيكم للطور..
فما لكم خبرٌ هنا.. ولا لكم حضور

من باب كل جامع..
من خلف كل منبر مكسور
سيخرج الحجاج ذات ليلة.. ويخرج المنصور

10

إنتظرونا دائماً..
في كل ما لا ينتظرُ
فنحن في كل المطارات، وفي كل بطاقات السفر
نطلع في روما، وفي زوريخ، من تحت الحجر
نطلع من خلف التماثيل وأحواض الزهر..
رجالنا يأتون دون موعدٍ
في غضب الرعد، وزخات المطر
يأتون في عباءة الرسول، أو سيف عمر..
نساؤنا.. يرسمن أحزان فلسطين على دمع الشجر
يقبرن أطفال فلسطين، بوجدان البشر
يحملن أحجار فلسطين إلى أرض القمر..

11

لقد سرقتم وطناً..
فصقّ العالم للمغامره
صادرتم الألوفاً من بيوتنا
وبعتم الألوفاً من أطفالنا
فصقّ العالم للسماسه..
سرقتم الزيت من الكنائس

سرقتم المسيح من بيته في الناصره
فصفق العالم للمغامره
وتنصبون مآتماً..
إذا خطفنا طائره

12

تذكروا.. تذكروا دائماً
بأن أمريكا – على شأنها –
ليست هي الله العزيز القدير
وأن أمريكا – على بأسها –
لن تمنع الطيور أن تطير
قد تقتل الكبير.. بارودة
صغيرة.. في يد طفل صغير

13

ما بيننا.. وبينكم.. لا ينتهي بعام
لا ينتهي بخمسة.. أو عشرة.. ولا بألف عام
طويلة معارك التحرير كالصيام
ونحن باقون على صدوركم..
كالنقش في الرخام..
باقون في صوت المزاريب.. وفي أجنحة الحمام
باقون في ذاكرة الشمس، وفي دفاتر الأيام
باقون في شيطنة الأولاد.. في خربشة الأقلام
باقون في الخرائط الملونه

باقون في شعر امرئ القيس..
وفي شعر أبي تمام..
باقون في شفاء من نحبهم
باقون في مخارج الكلام..

14

موعدنا حين يجيء المغيب
موعدنا القادم في تل أبيب
"نصر من الله وفتح قريب"

15

ليس حزينان سوى يوم من الزمان
وأجمل الورود ما ينبت في حديقة الأحران..

16

للحزن أولاد سيكبرون..
للوجع الطويل أولاد سيكبرون
للأرض، للحارات، للأبواب، أولاد سيكبرون
وهؤلاء كلهم..
تجمعوا منذ ثلاثين سنة
في غرف التحقيق، في مراكز البوليس، في السجون
تجمعوا كالدمع في العيون
وهؤلاء كلهم..

في أي.. أي لحظة
من كل أبواب فلسطين سيدخلون..

17

..وجاء في كتابه تعالى:
بأنكم من مصر تخرجون
وأنكم في تيهها، سوف تجوعون، وتعطشون
وأنكم ستعبدون العجل دون ربكم
وأنكم بنعمة الله عليكم سوف تكفرون
وفي المناشير التي يحملها رجالنا
زدنا على ما قاله تعالى:
سطين آخرين:
ومن ذرى الجولان تخرجون
وضفة الأردن تخرجون
بقوة السلاح تخرجون..

18

سوف يموت الأعور الدجال
سوف يموت الأعور الدجال
ونحن باقون هنا، حدائقاً، وعطر برتقال
باقون فيما رسم الله على دفاتر الجبال
باقون في معاصر الزيت.. وفي الأنوال
في المدّ.. في الجزر.. وفي الشروق والزوال
باقون في مراكب الصيد، وفي الأصداف، والرمال

باقون في قصائد الحب، وفي قصائد النضال
باقون في الشعر، وفي الأزجال
باقون في عطر المناديل..
في (الدبكة) و (الموال)..
في القصص الشعبي، والأمثال
باقون في الكوفية البيضاء، والعقال
باقون في مروءة الخيل، وفي مروءة الخيال
باقون في (المهياج) والبن، وفي تحية الرجال للرجال
باقون في معاطف الجنود، في الجراح، في السعال
باقون في سنابل القمح، وفي نسائم الشمال
باقون في الصليب..
باقون في الهلال..
في ثورة الطلاب، باقون، وفي معاول العمال
باقون في خواتم الخطبة، في أسيرة الأطفال
باقون في الدموع..
باقون في الآمال

19

تسعون مليوناً من الأعراب خلف الأفق غاضبون
با ويلكم من ثأرهم..
يوم من القمقم يطلعون..

20

لأن هارون الرشيد مات من زمان

ولم يعد في القصر غلمانٌ، ولا خصيان
لأننا من قتلناه، وأطعمناه للحيتان
لأن هارون الرشيد لم يعد إنسان
لأنه في تحته الوثير لا يعرف ما القدس.. وما بيسان
فقد قطعنا رأسه، أمس، وعلقناه في بيسان
لأن هارون الرشيد أرنبٌ جبان
فقد جعلنا قصره قيادة الأركان..

21

ظل الفلسطينيُّ أعواماً على الأبواب..
يشحذ خبز العدل من موائد الذئاب
ويشتكي عذابه للخالق الثواب
وعندما.. أخرج من إسطنبوله حصاناً
وزيَّتَ البارودة الملقاة في السرداب
أصبح في مقدوره أن يبدأ الحساب..
نحن الذين نرسم الخريطة
ونرسم السفوح والهضاب..
نحن الذين نبدأ المحاكمه
ونفرض الثواب والعقاب..

23

العرب الذين كانوا عندكم مصدري أحلام
تحولوا بعد حزيران إلى حقلٍ من الألغام
وانتقلت (هانوي) من مكانها..

وانتقلت فيتنام..

24

حدائق التاريخ دوماً تزهرُ..
ففي ذرى الأوراس قد ماج الشقيق الأحمر..
وفي صحاري ليبيا.. أ ورق غصنٌ أخضر..
والعرب الذين قُلتُم عنهم: تحجروا
تغيروا..
تغيروا

25

أنا الفلسطيني بعد رحلة الضياع والسراب
أطلع كالعشب من الخراب
أضيء كالبرق على وجوهكم
أهطل كالسحاب
أطلع كلَّ ليلة..
من فسحة الدار، ومن مقابض الأبواب
من ورق التوت، ومن شجيرة اللبلاب
من بركة الدار، ومن ثرثرة المزراب
أطلع من صوت أبي..
من وجه أمي الطيب الجذاب
أطلع من كل العيون السود والأهداب
ومن شبابيك الحبيبات، ومن رسائل الأحباب
أفتح باب منزلي.
أدخله. من غير أن أنتظر الجواب
لأنني أنا.. السؤال والجواب

26

محاصرون أنتم بالحد والكراهيه
فمن هنا جيش أبي عبيدة
ومن هنا معاويه
سلامكم ممزق..
وبيتكم مطوق
كبيت أي زانيه..

27

نأتي بكوفياتنا البيضاء والسوداء
نرسم فوق جلدكم إشارة الفداء
من رحم الأيام نأتي كانبثاق الماء
من خيمة الذل التي يعلكها الهواء
من وجع الحسين نأتي.. من أسي فاطمة الزهراء
من أحد نأتي.. ومن بدر.. ومن أحزان كربلاء
نأتي لكي نصحح التاريخ والأشياء
ونطمس الحروف..
في الشوارع العبرية الأسماء..

دكتورة شرف في كيمياء الحجر

يرمي حجراً..
أو حجرين..
يقطع أفعى إسرائيل إلى نصفين
بمضغ لحم الدبابات،
ويأتينا.. من غير يدين..
في لحظات..
تظهر أرضٌ فوق الغيم،
ويولد وطنٌ في العينين
في لحظات..
تظهر حيفا..
تظهر يافا..

تأتي غزة في أمواج البحر
تضيء القدس،
كمئذنة بين الشفتين..

يرسم فرساً..
من ياقوت الفجر..
ويدخل..
كالإسكندر ذي القرنين..
يخلع أبواب التاريخ،
وينهي عصر الحشاشين،
ويقل سوق القوادين،
ويقطع أيدي المرتزقين،
ويلقي تركة أهل الكهف،
عن الكتفين..
في لحظات..
تحبل أشجار الزيتون،
يدر حليباً في الثديين..
يرسم أرضاً في طبريا
يزرع فيها سنبلتين
يرسم بيتاً فوق الكرمل،
يرسم أمّاً.. تطحن بئاً عند الباب،
وفجائين..
وفي لحظات.. تهجم رائحة الليمون،
ويولد وطنٌ في العينين
يرمي قمراً من عينيه السوداوين،
وقد يرمي قمرين..

يرمي قلماً.
يرمي كتباً.
يرمي حبراً.
يرمي صمغاً.
يرمي كراسات الرسم
وفرشاة الألوان
تصرخ مريم: "يا ولداه.."
وتأخذه بين الأحضان.
يسقط ولدٌ
في لحظاتٍ..
يولد آلاف الصبيان
يكسف قمرٌ غزاويً
في لحظاتٍ...
يطلع قمرٌ من بيسان
يدخل وطنٌ للزنانة،
يولد وطنٌ في العينين..
ينفض عن نعليه الرمل..
ويدخل في مملكة الماء.
يفتح نفقاً آخر.
يبعد زمناً آخر.
يكتب نصاً آخر.
يكسر ذاكرة الصحراء.

يقتل لغةً مستهلكةً
منذ الهمزة.. حتى الباء..
يفتح ثقباً في القاموس،
ويعلن موت النحو.. وموت الصرف..
وموت قصائدنا العصماء..
يرمي حجراً.
يبدأ وجه فلسطين
يتشكل مثل قصيدة شعر..
يرمي الحجر الثاني
تطفو عكا فوق الماء قصيدة شعر
يرمي الحجر الثالث
تطلع رام الله بنفسجة من ليل القهر
يرمي الحجر العاشر
حتى يظهر وجه الله..
ويظهر نور الفجر..
يرمي حجر الثورة
حتى يسقط آخر فاشستي
من فاشست العصر
يرمي..
يرمي..
يرمي..
حتى يقلع نجمة داوودِ

بيديه،
ويرميها في البحر..
تسأل عنه الصحف الكبرى:
أيُّ نبي هذا القادم من كنعان؟
أيّ صبي؟
هذا الخارج من رحم الأحران؟
أي نباتٍ أسطوري
هذا الطالع من بين الجدران؟
أي نهورٍ من ياقوتٍ
فاضت من ورق القرآن؟
يسأل عنه العرافون.
ويسأل عنه الصوفيون.
ويسأل عنه البوذيون.
ويسأل عنه ملوك الأنس،
ويسأل عنه ملوك الجان.
من هو هذا الولد الطالع
مثل الخوخ الأحمر..
من شجر النسيان؟
من هو هذا الولد الطافش
من صور الأجداد..
ومن كذب الأحفاد..
ومن سر وال بني قحطان؟

من هو هذا الولد الباحث
عن أزهار الحب..
وعن شمس الإنسان؟
من هو هذا الولد المشتعل العينين..
كآلهة اليونان؟
يسأل عنه المضطهدون..
ويسأل عنه المقموعون..
ويسأل عنه المنفيون..
وتسأل عنه عصافيرٌ خلف القضبان..
من هو هذا الآتي..
من أوجاع الشمع..
ومن كتب الرهبان؟
من هو هذا الولد
التبدأ في عينيه..
بدايات الأكوان؟
من هو؟
هذا الولد الزارع
قمح الثورة..
في كل مكان؟
يكتب عنه القصصيون،
ويروي قصته الركبان..
من هو هذا الطفل الهارب من شلل الأطفال،

ومن سوس الكلمات؟
من هو؟
هذا الطافش من مزبلة الصبر..
ومن لغة الأموات؟
تسأل صحف العالم،
كيف صبيّ مثل الوردة..
يمحو العالم بالمحاة؟؟
تسأل صحف في أمريكا
كيف صبيّ غزاوي،
حيفاوي،
عكاوي،
نابلسي،
يقلب شاحنة التاريخ،
ويكسر بللور التوراة؟؟؟

هوامش على دفتر النكسة

أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغة القديمة
والكتب القديمة
أنعي لكم..
كلامنا المنقوب، كالأحذية القديمة..
ومفردات العهر، والهجاء، والشتيمة
أنعي لكم.. أنعي لكم
نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة

2

مالحة في فمنا القصائد
مالحة ضفائر النساء
والليل، والأستار، والمقاعد
مالحة أمامنا الأشياء

3

يا وطني الحزين

حولتني بلحظةٍ
من شاعرٍ يكتب الحب والحنين
لشاعرٍ يكتب بالسكينُ

4

لأن ما نحسه أكبر من أوراقنا
لا بد أن نخجل من أشعارنا

5

إذا خسرنا الحرب لا غرابه
لأننا ندخلها..
بكل ما يملك الشرقي من مواهب الخطابه
بالعنتريات التي ما قتلت ذبابه
لأننا ندخلها..
بمنطق الطبله والربابه

6

السُرُّ في مأساتنا
صرأخنا أضخمُ من أصواتنا
وسيفنا أطولُ من قاماتنا

7

خلاصه القضية
توجزُ في عباره
لقد لبسنا قشرة الحضاره

والروحُ جاهليه...

8

بالنأيِّ والمزمار..
لا يحدث انتصار

9

كلّفنا ارتجالنا
خمسين ألف خيمةٍ جديده

10

لا تلعنوا السماء
إذا تخلت عنكم..
لا تلعنوا الظروفُ
فإنّ الله يؤتي النصر من يشاء
وليس حداداً لديكم.. يصنع السيوفُ

11

يوجعني أن أسمع الأنباء في الصباح
يوجعني.. أن أسمع النباح..

12

ما دخل اليهود من حدودنا
وإنما..

تسربوا كالنمل.. من عيوننا

13

خمسة آلاف سنه..

ونحن في السرداب
ذقوننا طويلاً
نقودنا مجهولة
عيوننا مرافئ الذباب
يا أصدقائي:
جربوا أن تكسروا الأبواب
أن تغسلوا أفكاركم، وتغسلوا الأثواب
يا أصدقائي:
جربوا أن تقرأوا كتاب..
أن تكتبوا كتاب
أن تزرعوا الحروف، والرمز، والأعنان
أن تبشروا إلى بلاد الثلج والضباب
فالناس يجهلونكم.. في خارج السرداب
الناس يحسبونكم نوعاً من الذئاب...

14

جلودنا ميتة الإحساس
أرواحنا تشكو من الإفلاس
أيامنا تدور بين الزار، والشاطرنج، والنعاس
هل نحن "خير أمةٍ قد أخرجت للناس"؟...

15

كان بوسع نفطنا الدافق بالصحاري
أن يستحيل خنجراً..

من لهبٍ ونار..
لكنه..
واخجلة الأشراف من قريش
واخجلة الأحرار من أوس ومن نزار
يُراق تحت أرجل الجواري...

16

نركض في الشوارع
نحمل تحت إبطنا الحبالا..
نمارس السحل بلا تبصر
نحطم الزجاج والأقفالا..
نمدح كالصفادع
نشتم كالصفادع
نجعل من أقزامنا أبطالاً..
نجعل من أشرافنا أنذالا..
نرتجل البطولة ارتجالاً..
نقعد في الجوامع..
تنابلاً.. كسالى
نشطر الأبيات، أو نؤلف الأمثالاً..
ونشدد النصر على عدونا..
من عنده تعالى...

17

لو أحدٌ يمنحني الأمان..

لو كنت أستطيع أن أقابل السلطان
قلت له: يا سيدي السلطان
كلاك المفترسات مزقت ردائي
ومخبروك دائماً ورائي..
عيونهم ورائي..
أنوفهم ورائي..
أقدامهم ورائي..
كالقدر المحتوم، كالقضاء
يستجوبون زوجتي
ويكتبون عندهم..
أسماء أصدقائي..
يا حضرة السلطان
لأنني اقتربت من أسوارك الصماء
لأنني..
حاولت أن أكشف عن حزني.. وعن بلائي
ضربت بالحداء..
أرغمني جندك أن أكل من حذائي
يا سيدي..
يا سيدي السلطان
لقد خسرت الحرب مرتين
لأن نصف شعبنا.. ليس له لسان
ما قيمة الشعب الذي ليس له لسان؟

لأن نصف شعبنا..
محاصراً كالنمل والجرذان..
في داخل الجدران..
لو أحدٌ يمنحني الأمان
من عسكر السلطان..
قلت له: لقد خسرت الحرب مرتين..
لأنك انفصلت عن قضية الإنسان..

18

لو أننا لم ندفن الوحدة في التراب
لو لم نمزق جسمها الطري بالحراب
لو بقيت في داخل العيون والأهداب
لما استباححت لحمنا الكلاب..

19

نريد جيلاً غاضباً..
نريد جيلاً يفلح الآفاق
وينكش التاريخ من جذوره..
وينكش الفكر من الأعماق
نريد جيلاً قادماً..
مختلف الملامح..
لا يغفر الأخطاء.. لا يسامح..

لا ينحني..
لا يعرف النفاق..
نريد جيلاً..
رائداً..
عملاقاً..

20

يا أيها الأطفال..
من المحيط للخليج، أنتم سنابل الآمال
وأنتم الجيل الذي سيكسر الأغلال
ويقتل الأفيون في رؤوسنا..
ويقتل الخيال..
يا أيها الأطفال أنتم —بعد— طيبون
وطاهرون، كالندى والثلج، طاهرون
لا تقرؤوا عن جيلنا المهزوم يا أطفال
فنحن خائبون..
ونحن، مثل قشرة البطيخ، تافهون
ونحن منخورون.. منخورون.. كالنعال
لا تقرؤوا أخبارنا
لا تقتفروا آثارنا
لا تقبلوا أفكارنا
فنحن جيل القيء، والزّهري، والسعال
ونحن جيل الدجل، والرقص على الحبال

يا أيها الأطفال:
يا مطر الربيع.. يا سنابل الآمال
أنتم بذور الخصب في حياتنا العقيمة
وأنتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة...

المهرولون

- 1 -

سقطت آخر جدران الحياء..
و فرحنا.. و رقصنا..
و تباركنا بتوقيع سلام الجبناء
لم يعد يرعبنا شيء..
و لا يخلنا شيء..
فقد يبست فينا عروق الكبرياء...

- 2 -

سقطت.. للمرة الخمسين عذريتنا..
دون أن نهتز.. أو نصرخ..
أو يرعبنا مرأى الدماء..
و دخلنا في زمان الهرولة..
و وقفنا بالطوابير، كأغنام أمام المقصلة.

و ركضنا.. و لهثنا..
و تسابقنا لتقويل حذاء القتلة..

- 3 -

جوَّعوا أطفالنا خمسين عاماً..
و رموا في آخر الصوم إلينا..
بصلة...

- 4 -

سقطت غرناطة
للمرة الخمسين من أيدي العرب..
سقط التاريخ من أيدي العرب..
سقطت أعمدة الروح.. و أفخاذ القبيلة..
سقطت كل مواويل البطولة..
سقطت كل مواويل البطولة..
سقطت إشبيلة..
سقطت أنطاكية..
سقطت حطين من غير قتال..
سقطت عمورية..
سقطت مريم في أيدي الميليشيات
فما من رجل ينقذ الرمز السماوي
و لا ثمَّ رجولة...

- 5 -

سقطت آخر محظياتنا

في يد الروم, فعن ماذا ندافع?
لم يعد في قصرنا جارية واحدة
تصنع القهوة و الجنس..
فعن ماذا ندافع??

- 6 -

لم يعد في يدنا
أندلسٌ واحدةٌ نملكها..
سرقوا الابواب
و الحيطان و الزوجات, و الأولاد,
و الزيتون, و الزيت
و أحجار الشوارع.
سرقوا عيسى بن مريم
و هو ما زال رضيعاً..
سرقوا ذاكرة الليمون..
و المشمش.. و النعناع منا..
و قناديل الجوامع...

- 7 -

تركوا علبة سردين بأيدينا
تسمى (غزة)..
عظمة يابسة تدعى (أريحا)..
فندقاً يدعى فلسطين..
بلا سقفٍ لا أعمدة..

تركونا جسداً دون عظام
و يداً دون أصابع...

- 8 -

لم يعد ثمة أطلال لكي نبكي عليها.
كيف تبكي أمة
أخذوا منها المدامع؟؟

- 9 -

بعد هذا الغزل السري في أوصلو
خرجنا عاقرين..
وهبونا وطناً أصغر من حبة قمح..
وطناً نبلعه من غير ماءٍ
كحبوب الأسبرين!!..

- 10 -

بعد خمسين سنة..
نجلس الآن، على الأرض الخراب..
ما لنا مأوى
كآلاف الكلاب!!..

- 11 -

بعد خمسين سنة
ما وجدنا وطناً نسكنه إلا السراب..
ليس صلحاً،
ذلك الصلح الذي أدخل كالخنجر فينا..

إنه فعل اغتصاب!!..

12-

ما تفيد الهرولة؟

ما تفيد الهرولة؟

عندما يبقى ضمير الشعب حياً

كفئيل القنبلة..

لن تساوي كل توقعات أوسلو..

خردلة!!..

13-

كم حلمنا بسلام أخضر..

و هلال أبيض..

و ببحر أزرق.. و قلوب مرسله..

و وجدنا فجأة أنفسنا.. في مزبلة!!..

14-

من ترى يسألهم عن سلام الجبناء؟

لا سلام الأقوياء القادرين.

من ترى يسألهم

عن سلام البيع بالتفسيط..

و التأجير بالتفسيط..

و الصفقات..

و التجار و المستثمرين؟

من ترى يسألهم

عن سلام الميتين؟
أسكتوا الشارع
و اغتالوا جميع الأسئلة..
و جميع السائلين...

-15-

... و تزوجنا بلا حب..
من الأنثى التي ذات يوم أكلت أولادنا..
مضغت أكبادنا..
و أخذناها إلى شهر العسل..
و سكرنا.. و رقصنا..
و استعدنا كل ما نحفظ من شعر الغزل..
ثم أنجبنا، لسوء الحظ، أولاداً معاقين
لهم شكل الضفادع..
و تشردنا على أرصفة الحزن،
فلا من بلدٍ ثمة نحضنه..
أو من ولد!!

- 16-

لم يكن في العرس رقصٌ عربي..
أو طعامٌ عربي..
أو غناءٌ عربي..
أو حياءٌ عربي..
فلقد غاب عن الزفة أولاد البلد..

- 17 -

كان نصف المهر بالدولار..
كان الخاتم الماسي بالدولار..
كانت أجرة المأذون بالدولار..
و الكعكة كانت هبة من أمريكا..
و غطاء العرس, و الأزهار, و الشمع,
و موسيقى المارينز..
كلها قد صنعت في أمريكا!!!

- 18 -

و انتهى العرس..
و لم تحضر فلسطين الفرح..
بل رأت صورتها مبنوثة عبر كل الأفنية..
و رأت دمعها تعبر أمواج المحيط..
نحو شيكاغو.. و جيرسي.. و ميامي..
و هي مثل الطائر المذبوح تصرخ:
ليس هذا الثوب ثوبي..
ليس هذا العار عاري..
أبدأ.. يا أمريكا..
أبدأ.. يا أمريكا..
أبدأ.. يا أمريكا..

متى يعلنون وفاة العرب

- 1 -

أحاول منذ الطفولة رسم بلادٍ
تسمّى مجازاً بلاد العرب
تسامحني إن كسرتُ زجاج القمر...
وتشكرني إن كتبت قصيدة حبٍ
وتسمح لي أن أمارس فعل الهوى
ككل العصافير فوق الشجر...
أحاول رسم بلادٍ
تعلمني أن أكون على مستوى العشق دوماً
فأفرش تحتك، صيفاً، عباءة حبي
وأعصر ثوبك عند هطول المطر...

- 2 -

أحاول رسم بلادٍ...

لها برلمانٌ من الياسمين.
وشعبٌ رقيق من الياسمين.
تنام حمائمها فوق رأسي.
وتبكي مآذنها في عيوني.
أحاول رسم بلادٍ تكون صديقةً شعري.
ولا تتدخل بيني وبين ظنوني.
ولا يتجول فيها العساكر فوق جبيني.
أحاول رسم بلادٍ...
تكافئني إن كتبت قصيدة شعر
وتصفح عني ، إذا فاض نهر جنوني

- 3 -

أحاول رسم مدينة حبٍ...
تكون محررةً من جميع العقد...
فلا يذبحون الأنوثة فيها... ولا يقيمون الجسد...

- 4 -

رحلت جنوباً... رحلت شمالاً...
ولافأنده...
فقهوة كل المقاهي ، لها نكهةٌ واحدة...
وكل النساء لهن إذا ما تعرين
رائحةً واحدة...
وكل رجال القبيلة لا يعضغون الطعام
ويلتهمون النساء بثانيةٍ واحدة.

- 5 -

أحاول منذ البدايات...
أن لا أكون شبيهاً بأي أحد...
رفضت الكلام المقلب دوماً.
رفضت عبادة أيّ وثن...

- 6 -

أحاول إحراق كلّ النصوص التي أرثديها.
فبعض القصائد قبرٌ،
وبعض اللغات كفن.
وواعدت آخر أنثى...
ولكنني جئت بعد مرور الزمن...

- 7 -

أحاول أن أتبرأ من مفرداتي
ومن لعنة المبتدا والخبر...
وأنفض عني غباري.
وأغسل وجهي بماء المطر...
أحاول من سلطة الرمل أن أستقيل...
وداعاً قريش...
وداعاً كليب...
وداعاً مُضَر...

- 8 -

أحاول رسم بلادٍ

تسمى مجازاً بلاد العرب
سريري بها ثابتٌ
ورأسي بها ثابتٌ
لكي أعرف الفرق بين البلاد وبين السفن...
ولكنهم...أخذوا علبة الرسم مني.
ولم يسمحوا لي بتصوير وجه الوطن...

- 9 -

أحاول منذ الطفولة
فتحَ فضاءٍ من الياسمين
وأسست أول فندق حب...بتاريخ كل العرب...
ليستقبل العاشقين...
وألغيت كل الحروب القديمة...
بين الرجال...وبين النساء...
وبين الحمام...ومن يذبحون الحمام...
وبين الرخام ومن يجرحون بياض الرخام...
ولكنهم...أغلقوا فندقتي...
وقالوا بأن الهوى لايليق بماضي العرب...
وطهر العرب...
وإرث العرب...
فيا للعجب!!

- 10 -

أحاول أن أتصور ما هو شكل الوطن؟

أحاول أن أستعيد مكانِي في بطن أُمي
وأسبح ضد مياه الزمن...
وأسرق تيناً ، ولوزاً ، و خوخاً ،
وأركض مثل العصافير خلف السفن.
أحاول أن أتخيّل جنة عدن
وكيف سأقضي الإجازة بين نهور العقيق...
وبين نهور اللين...
وحين أفقت... اكتشفت هشاشة حلمي
فلا قمرٌ في سماء أريحا...
ولا سمكٌ في مياه الفرات...
ولا قهوةٌ في عدن...

- 11 -

أحاول بالشعر... أن أمسك المستحيلاً...
وأزرع نخلاً...
ولكنهم في بلادي ، يقصون شعر النخيل...
أحاول أن أجعل الخيل أعلى صهيلاً
ولكن أهل المدينة يحتقرون الصهيل!!

- 12 -

أحاول سيدتي أن أحبك...
خارج كل الطقوس...
وخارج كل النصوص...
وخارج كل الشرائع والأنظمة

أحاول سيدتي أن أحبك...
في أي منفى ذهبت إليه...
لأشعر حين أضمك يوماً لصدري
بأنني أضمّ تراب الوطن...

- 13 -

أحاول مذ كنت طفلاً، قراءة أي كتابٍ
تحدث عن أنبياء العرب.
وعن حكماء العرب... وعن شعراء العرب...
فلم أر إلا قصائد تلحس رجل الخليفة
من أجل جفنة رز... وخمسين درهم...
فيا للعجب!!
ولم أر إلا قبائل ليست تفرق ما بين لحم النساء...
وبين الرطب...
فيا للعجب!!
ولم أر إلا جرائد تخلع أثوابها الداخليه...
لأي رئيس من الغيب يأتي...
وأي عقيدٍ على جثة الشعب يمشي...
وأي مرابٍ يكدس في راحتيه الذهب...
فيا للعجب!!

- 14 -

أنا منذ خمسين عاماً،
أراقب حال العرب.

وهم يرعدون، ولا يمتطرون...
وهم يدخلون الحروب، ولا يخرجون...
وهم يعلكون جلود البلاغة علكاً
ولا يهضمون...

- 15 -

أنا منذ خمسين عاما
أحاول رسم بلادٍ
تسمى مجازاً بلاد العرب
رسمت بلون الشرايين حيناً
وحيث رسمت بلون الغضب.
وحيث انتهى الرسم، ساءلت نفسي:
إذا أعلنوا ذات يوم وفاة العرب...
ففي أي مقبرة يُدفنون؟
ومن سوف يبكي عليهم؟
وليس لديهم بنات...
وليس لديهم بنون...
وليس هنالك حزن،
وليس هنالك من يحزنون!!

- 16 -

أحاول منذ بدأت كتابة شعري
قياس المسافة بيني وبين جدودي العرب.

رأيت جيوشا...ولا من جيوش...
رأيت فتوحا...ولا من فتوح...
وتابعت كل الحروب على شاشة التلفزه...
فقتلى على شاشة التلفزه...
وجرحى على شاشة التلفزه...
ونصر من الله يأتي إلينا...على شاشة التلفزه...

- 17 -

أيا وطني: جعلوك مسلسل رعب
نتابع أحداثه في المساء.
فكيف نراك إذا قطعوا الكهرباء؟؟

- 18 -

أنا...بعد خمسين عاماً
أحاول تسجيل ما قد رأيت...
رأيت شعوباً تظن بأن رجال المباحث
أمر من الله...مثل الصداق...ومثل الزكام...
ومثل الجذام...ومثل الجرب...
رأيت العروبة معروضة في مزاد الأثاث القديم...
ولكنني...ما رأيت العرب !!

قصيدة بلقيس

شكراً لكم ..
شكراً لكم ..
فحبيبتني قتلت .. وصار بوسعكم
أن تشربوا كأساً على قبر الشهيد
وقصيدتي اغتيلت ..
وهل من أمةٍ في الأرض ..
- إلا نحن - تغتال القصيدة ؟
بلقيس...كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل
بلقيس..كانت أطول النخلات في أرض العراق
كانت إذا تمشي ..
ترافقها طواويس ..
وتتبعها أيائل ..
بلقيس .. يا وجعي ..
ويا وجع القصيدة حين تلمسها الأنامل
هل يا ترى ..

من بعد شعرك سوف ترتفع السنايل ؟
يا نينوى الخضراء ..
يا عجريت الشقراء ..
يا أمواج دجلة ..
تلبس في الربيع بساقها
أحلى الخلاخل ..
قتلوك يا بلقيس ..
أية أمة عربية.. تلك التي
تغتال أصوات البلبل ؟
أين السموأل؟ والمهلل ؟
والغطاريف الأوائل ؟
فقبائلٌ أكلت قبائل ..
وئعالبٌ قتلت ئعالب ..
وعناكبٌ قتلت عناكب ..
قسماً بعينيك اللتين إليهما ..
تأوي ملايين الكواكب ..
سأقول ، يا قمري، عن العرب العجائب
فهل البطولة كذبة عربية ؟
أم مثلنا التاريخ كاذب ؟
بلقيس.. لا تتغيبي عني
فإن الشمس بعدك
لا تضيء على السواحل ..

سأقول في التحقيق:
إن اللص أصبح يرتدي ثوب المقاتل
وأقول في التحقيق:
إن القائد الموهوب أصبح كالمقاتل ..
وأقول: إن حكاية الإشعاع ، أسخف نكتة قيلت ..
فنحن قبيلة بين القبائل
هذا هو التاريخ .. يا بلقيس ..
كيف يفرق الإنسان ..
ما بين الحقائق والمزابل
بلقيس.. أينها الشهيدة .. والقصيدة ..
والمطهرة النقية..
سباً تفتش عن مليكتها
فردي للجماهير التحية..
يا أعظم الملكات..
يا امرأة تجسد كل أمجاد العصور السومرية
بلقيس.. يا عصفورتي الأمل ..
ويا أيقونتي الأعلى
ويا دمعاً تنثر فوق خد المجذلية
أترى ظلمتك إذ نقلتك
ذات يوم.. من ضفاف الأعظمية؟!...
بيروت.. تقتل كل يوم واحداً منا..
وتبحث كل يوم عن ضحية

والموت.. في فنجان قهوتنا ..
وفي مفتاح شفتنا..
وفي أزهار شرفتنا..
وفي ورق الجرائد..
والحروف الأبجدية...
ها نحن.. يا بلقيس..
ندخل مرةً أخرى لعصر الجاهلية..
ها نحن ندخل في التَّوْحُش..
والتخلف.. والبشاعة.. والوضاعة..
ندخل مرةً أخرى.. عصور البربرية..
حيث الكتابة رحلة
بين الشَّظِيَّة .. والشَّظِيَّة
حيث اغتيال فراشةٍ في حقلها..
صار القضية ..
هل تعرفون حبيبتني بلقيس ؟
فهي أهم ما كتبوه في كتب الغرام
كانت مزيجاً رائعاً
بين القطيفة والرخام ..
كان البنفسج بين عينيها
ينام ولا ينام..
بلقيس.. يا عطراً بذاكرتي..
ويا قبراً يسافر في الغمام..

قتلوك، في بيروت، مثل أيّ غزاةٍ
من بعدما.. قتلوا الكلام ..
بلقيس..
ليست هذه مرثية
لكن ..
على العرب السلام
بلقيس ..
مشتاقون .. مشتاقون .. مشتاقون ..
والبيت الصغير ..
يسائل عن أميرته المعطرة الذبول
نصغي إلى الأخبار .. والأخبار غامضة
ولا تروي فضول ..
بلقيس..
مذبوحون حتى العظم ..
والأولاد لا يدرون ما يجري ..
ولا أدري أنا .. ماذا أقول ؟
هل تفرعين الباب بعد دقائق ؟
هل تخلعين المعطف الشتوي ؟
هل تأتين باسمه ..
وناضرة ..
ومشرقة كأزهار الحقول ؟
بلقيس.. إن زروعك الخضراء ..

ما زالت على الحيطان باكية ..
ووجهك لم يزل منتقلاً ..
بين المرايا والستائر
حتى سجارتك التي أشعلتها
لم تنطفئ ..
ودخانها ما زال يرفض أن يسافر
بلقيس ..
مطعونون .. مطعونون في الأعماق ..
والأحداق يسكنها الذهول
بلقيس .. كيف أخذت أيامي ..
وأحلامي ..
والغيت الحقائق والفصول ..
يا زوجتي ..
وحبيبتي .. وقصيدتي .. وضياء عيني ..
قد كنت عصفوري الجميل ..
فكيف هربت يا بلقيس مني ؟ ..
بلقيس ..
هذا موعد الشاي العراقي المعطر ..
والمعتق كالسلافة ..
فمن الذي سيوزع الأقداح .. أيتها الزرافة ؟
ومن الذي نقل الفرات لببتنا ..
وورود دجلة والرصافة ؟

بلقيس.. إن الحزن يثقبني ..
وببيروت التي قتلتك .. لا تدري جريمتها
وببيروت التي عشقتك ..
تجهل أنها قتلت عشيقته ..
وأطفأت القمر ..
بلقيس ..
يا بلقيس ..
يا بلقيس
كل غمامة تبكي عليك ..
فمن ترى يبكي عليا ..
بلقيس .. كيف رحلت صامتة
ولم تضعي يديك .. على يديا ؟
بلقيس ..
كيف تركتنا في الريح ..
نرجف مثل أوراق الشجر ؟
وتركتنا - نحن الثلاثة - ضائعين
كريشة تحت المطر ..
أتراك ما فكرت بي ؟
وأنا الذي يحتاج حبك .. مثل (زينب) أو (عمر)
بلقيس ..
يا كنزاً خرافياً ..
ويا رمحاً عراقياً ..

و غابة خيزران ..
يا من تحديث النجوم ترفعاً ..
من أين جئت بكل هذا العنفوان ؟
بلقيس ..
أيتها الصديقة .. والرفيقة ..
والرفيقة مثل زهرة أقحوان ..
ضاقت بنا بيروت .. ضاق البحر ..
ضاقت بنا المكان ..
بلقيس : ما أنت التي تتكررين ..
فما لبلقيس اثنتان ..
بلقيس ..
تذبحني التفاصيل الصغيرة في علاقتنا ..
وتجلدني الدقائق والثواني ..
فلكل دبوس صغير .. قصة
ولكل عقدٍ من عقودك قصتان
حتى ملاقط شعرك الذهبي ..
تغمرنني ، كعادتها ، بأمطار الحنان
ويعرش الصوت العراقي الجميل ..
على الستائر ..
والمقاعد ..
والأواني ..
ومن المرايا تطلعين ..

من الخواتم تطلعين ..
من القصيدة تطلعين ..
من الشموع ..
من الكؤوس ..
من النبيذ الأرجواني ..
بلقيس ..
يا بلقيس .. يا بلقيس ..
لو تدرين ما وجع المكان ..
في كل ركن .. أنت حائمة كعصفور ..
وعابقة كغابة بيلسان ..
فهناك .. كنت تدخنين ..
هناك .. كنت تطالعين ..
هناك .. كنت كنخلة تتمشطين ..
وتدخلين على الضيوف ..
كأنك السيف اليماني ..
بلقيس ..
أين زجاجة (الغيران) ؟
والولاعة الزرقاء ..
أين سجارة الـ (الكنت) التي
ما فارقت شفتيك ؟
أين (الهاشمي) مغنياً ..
فوق القوام المهرجان ..

تتذكر الأمشاط ماضيها ..
فيكرج دمعها ..
هل يا ترى الأمشاط من أشواقها أيضاً تعاني؟! ...
بلقيس : صعبٌ أن أهجرَ من دمي ..
وأنا المحاصر بين السنة اللهب ..
وبين السنة الدخان ...
بلقيس : أيتها الأميرة
ها أنت تحترقين .. في حرب العشيرة والعشيرة
ماذا سأكتب عن رحيل مليكتي ؟
إنّ الكلام فضيحتي ..
ها نحن نبحت بين أكوام الضحايا ..
عن نجمةٍ سقطت ..
وعن جسدٍ تناثر كالمرايا ..
ها نحن نسأل يا حبيبة ..
إن كان هذا القبر قبرك أنت
أم قبر العروبة ..
بلقيس:
يا صفصافة أرخت صفائرها علي ..
ويا زرافة كبرياء
بلقيس:
إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عربٌ ..
ويأكل لحمنا عربٌ ..

ويبقر بطننا عربٌ ..
ويفتح قبرنا عربٌ ..
فكيف نفر من هذا القضاء ؟
فالخنجر العربي .. ليس يقيم فرقا
بين أعناق الرجال ..
وبين أعناق النساء ..
بلقيس:
إن هم فجّروك .. فعندنا
كل الجنائز تبتدي في كربلاء ..
وتنتهي في كربلاء ..
لن أقرأ التاريخ بعد اليوم
إن أصابعي اشتعلت ..
وأثوابي تغطيها الدماء ..
ها نحن ندخل عصرنا الحجري
نرجع كل يوم ، ألف عام للوراء ...
البحر في بيروت ..
بعد رحيل عينيك استقال ..
والشعر .. يسأل عن قصيدته
التي لم تكتمل كلماتها ..
ولا أحدٌ .. يجيب عن السؤال
الحزن يا بلقيس ..
يعصر مهجتي كاليرتقالة ..

الآن .. أعرف مأزق الكلمات
أعرف ورطة اللغة المحالة ..
وأنا الذي اخترع الرسائل ..
لست أدري .. كيف أبتدئ الرسالة ..
السيف يدخل لحم خاصرتي
وخاصرة العبارة ..
كل الحضارة ، أنت يا بلقيس ، والأنثى حضارة ..
بلقيس : أنت بشارتي الكبرى ..
فمن سرق البشارة ؟
أنت الكتابة قبلما كانت كتابة ..
أنت الجزيرة والمنارة ..
بلقيس:
يا قمري الذي طمروه ما بين الحجارة ..
الآن ترتفع الستارة ..
الآن ترتفع الستارة ..
سأقول في التحقيق ..
إنني أعرف الأسماء .. والأشياء .. والسجناء ..
والشهداء .. والفقراء .. والمستضعفين ..
وأقول إنني أعرف السيف قاتل زوجتي ..
ووجوه كلّ المخبرين ..
وأقول : إن عفافنا عهر ..
وتقوانا قذارة ..

وأقول : إن نضالنا كذبٌ
وأن لا فرق ..
ما بين السياسة والدعارة !!
سأقول في التحقيق:
إني قد عرفت القاتلين
وأقول:
إن زماننا العربي مختصٌ بذبح الياسمين
وبقتل كل الأنبياء ..
وقتل كل المرسلين ..
حتى العيون الخضراء ..
يأكلها العرب
حتى الضفائر .. والخواتم
والأساور .. والمرايا .. واللعب ..
حتى النجوم تخاف من وطني ..
ولا أدري السبب ..
حتى الطيور تفر من وطني ..
و لا أدري السبب ..
حتى الكواكب .. والمراكب .. والسحب
حتى الدفاتر .. والكتب ..
وجميع أشياء الجمال ..
جميعها .. ضد العرب ..
لما تنثر جسمك الضوئي

يا بلقيس لؤلؤة كريمة
فكرتُ: هل قتل النساء هواية عربية
أم أننا في الأصل محترفو جريمة ؟
بلقيس.. يا فرسي الجميلة.. إنني
من كل تاريخي خجول
هذي بلادٌ يقتلون بها الخيول..
هذي بلادٌ يقتلون بها الخيول..
من يوم أن نحروك ..
يا بلقيس.. يا أحلى وطن ..
لا يعرف الإنسان كيف يعيش في هذا الوطن ..
لا يعرف الإنسان كيف يموت في هذا الوطن ..
ما زلت أدفع من دمي أعلى جزاء ..
كي أسعد الدنيا.. ولكن السماء
شاءت بأن أبقى وحيداً ..
مثل أوراق الشتاء
هل يولد الشعراء من رحم الشقاء ؟
وهل القصيدة طعنة في القلب ..
ليس لها شفاء ؟
أم أنني وحدي الذي
عيناه تختصران تاريخ البكاء ؟
سأقول في التحقيق:
كيف غزالتني ماتت بسيف أبي لهب

كل اللصوص من الخليج إلى المحيط ..
يدمرون .. ويحرقون ..
وينهبون .. ويرتشون ..
ويعتدون على النساء ..
كما يريد أبو لهب ..
كل الكلاب موظفون ..
ويأكلون ..
ويسكرون ..
على حساب أبي لهب ..
لا قمحة في الأرض ..
تنتب دون رأي أبي لهب
لا طفل يولد عندنا
إلا وزارت أمه يوماً ..
فراش أبي لهب !!! ..
لا سجن يفتح ..
دون رأي أبي لهب ..
لا رأس يقطع
دون أمر أبي لهب ..
سأقول في التحقيق:
كيف أميرتي اغُصِبَتْ
وكيف تقاسموا فيروز عينيها
وخاتم عرسها ..

وأقول كيف تقاسموا الشعر الذي
يجري كأنهار الذهب..
سأقول في التحقيق:
كيف سطوا على آيات مصحفها الشريف
وأضرموا فيه اللهب..
سأقول كيف استنزفوا دمها..
وكيف استملكوا فمها..
فما تركوا به ورداً .. ولا تركوا عنب
هل موت بلقيس ...
هو النصر الوحيد
بكل تاريخ العرب؟؟..
بلقيس.. يا معشوقتي حتى الثمالة ..
الأنبياء الكاذبون يقرفصون ..
ويركبون على الشعوب
ولا رسالة..
لو أنهم حملوا إلينا..
من فلسطين الحزينة ..
نجمة..
أو برتقالة..
لو أنهم حملوا إلينا..
من شواطئ غزة
حجراً صغيراً أو محارة ..

لو أنهم من ربع قرنٍ حرروا زيتونة..
أو أرجعوا ليمونة
ومحوا عن التاريخ عاره
لشكرت من قتلوك.. يا بلقيس ..
يا معشوقتي حتى الثمالة ..
لكنهم تركوا فلسطيناً
ليغتالوا غزالة !!...
ماذا يقول الشعر ، يا بلقيس ..
في هذا الزمان ؟
ماذا يقول الشعر في العصر الشعبي ..
المجوسي الجبان؟!..
والعالم العربي مسحوق .. ومقموع ..
ومقطوع اللسان ..
نحن الجريمة في تفوقها
فما (العقد الفريد) وما (الأغاني) ؟؟
أخذوك أيتها الحبيبة من يدي..
أخذوا القصيدة من فمي..
أخذوا الكتابة.. والقراءة والطفولة والأمانى
بلقيس.. يا بلقيس..
يا دمعاً ينقط فوق أهداب الكمان ..
علمتُ من قتلوك أسرار الهوى
لكنهم.. قبل انتهاء الشوط

قد قتلوا حصاني
بلقيس: أسألك السماح، فربما
كانت حياتك فديةً لحياتي..
إني لأعرف جيداً..
أن الذين تورطوا في القتل، كان مرادهم
أن يقتلوا كلماتي !!!
نامي بحفظ الله .. أيتها الجميلة
فالشعر بعدك مستحيل..
والأنوثة مستحيلة
ستظل أجيالٌ من الأطفال..
تسأل عن ضفائرك الطويلة..
وتظل أجيالٌ من العشاق
تقرأ عنك .. أيتها المعلمة الأصبلة..
وسيعرف الأعراب يوماً..
أنهم قتلوا الرسالة..
قتلوا الرسالة..
ق .. ت .. ل .. و .. ا
ال .. ر .. س .. و .. ل .. ة

قصيدة اعتذار لأبي تمام

1

أحبائي :
إذا جئنا لنحضرَ حفلة للزار ..
منها يضجر الضجرُ
إذا كانت طبول الشعر ، يا سادة
تفرقنا .. وتجمعنا
وتعطينا حبوب النوم في فمنا
وتسطلنا .. وتكسرنا.
كما الأوراق في تشرين تنكسر
فإني سوف أعتذر ..

2

أحبائي:
إذا كنا سنرقص دون سيقان ..

كعادتنا
ونخطب دون أسنان .. كعادتنا ..
ونؤمن دون إيمان .. كعادتنا ..
ونشلق كل من جاؤوا إلى القاعة
على حبل طويل من بلاغتنا
سأجمع كل أوراقى ..
وأعتذر...

3

إذا كنا سنبقى أيها السادة
ليوم الدين .. مختلفين حول كتابة الهمزة ..
وحول قصيدة نسبت إلى عمرو بن كلثوم ..
إذا كنا سنقرأ مرة أخرى
قصائدنا التي كنا قرأناها ..
ونمضغ مرة أخرى
حروف النصب والجر .. التي كنا مضغناها
إذا كنا سنكذب مرة أخرى
ونخدع مرة أخرى الجماهير التي كنا خدعناها
ونرعد مرة أخرى، ولا مطر ..
سأجمع كل أوراقى ..
وأعتذر ..

4

إذا كان تلاقينا

لكي نتبادل الانخاب، أو نسكّر ..
ونستلقي على تخت من الريحان والعنبر
إذا كنا نظن الشعر راقصة ..
مع الأفراح تُستأجرُ
وفي الميلاد ، والتأبين تستأجر
ونتلوه كما نتلو كلام الزير أو عنتر
إذا كانت هموم الشعر يا سادة
هي الترفيه عن معشوقة القيصر
ورشوة كل من في القصر من حرس .. ومن عسكر ..
إذا كنا سنسرق خطبة الحجاج: والحجاج .. والمنبر ..
ونذبح بعضنا بعضا لنعرف من بنا أشعر ..
فأكبر شاعر فينا هو الخنجر ..

5

أبا تمام .. أين تكون .. أين حديثك العطر؟
وأين يدُ مغامرة تسافر في مجاهيل ، وتبتكر ..
أبا تمام ..
أرملة قصائدنا .. وأرملة كتابتنا ..
وأرملة هي الألفاظ والصور ..
فلا ماء يسيل على دفاترنا ..
ولا ريح تهب على مراكبنا
ولا شمس ولا قمر
أبا تمام، دار الشعر دورته

وثار اللفظ .. والقاموس..
ثار البدو والحضر ..
وملّ البحر زرقته ..
وملّ جذوعه الشجرُ
ونحن هنا ..
كأهل الكهف .. لا علم ولا خبر
فلا ثوارنا ثاروا ..
ولا شعراؤنا شعروا ..
أبا تمام : لا تقرأ قصائدنا ..
فكل قصورنا ورق ..
وكل دموعنا حجر ..

6

أبا تمام : إن الشعر في أعماقه سفر
وإبحار إلى الآتي .. وكشف ليس ينتظر
ولكننا .. جعلنا منه شيئا يشبه الزفة
وإيقاعاً نحاسياً، يدقّ كأنه القدر ..

7

أمير الحرف .. سامحنا
فقد خُنا جميعاً مهنة الحرفِ
وأرهنّاه بالتشطير ، والتربيع ، والتخميس ، والوصف
أبا تمام .. إن النار تأكلنا
وما زلنا نجادل بعضنا بعضاً ..

عن المصروف .. والممنوع من صرف ..
وجيش الغاصب المحتل ممنوع من الصرف!!
وما زلنا نطق عظم أرجلنا
ونقعد في بيوت الله ننتظر ..
بأن يأتي الإمام عليُّ .. أو يأتي لنا عمر
ولن يأتوا .. ولن يأتوا
فلا أحدا بسيف سواه ينتصر ..

8

أبا تمام : إن الناس بالكلمات قد كفروا
وبالشعراء قد كفروا..
فقل لي أيها الشاعر
لماذا الشعر حين يشيخ
لا يستلُّ سكيناً .. وينتحر؟

ديك الجنّ الدِمَشقي

إني قَتَلْتُكَ.. واسترحت
يا أرخص امرأةٍ عَرَفْتُ..
أغمدت في نهديك.. سكينِي
وفي دمك اغتسلت..
وأكلت من شفة الجراح
ومن سلافتها شربت..

وطعنت حبك في الوريد..

طعنته.. حتى شبعْتُ
ولفافتني بفمي.. فلا انْفَعَلَ
الدخان.. ولا انفعلت
ورميت للأسماك.. لحمك
لا رحمت.. ولا غفرت
لا تستغيثي.. وانزفي
فوق الوساد كما نزفت
نفذت فيك جريمتي
ومسحت سكيني.. ونمت..
ولقد قتلناك عشر مراتٍ
ولكني.. فشلت
وظننت، والسكين تلمع

في يدي، أني انتصرت
وحملت جثتك الصغيرة
طيّ أعماقي وسرت
وبحثت عن قبر لها..
تحت الظلام فما وجدت
وهربت منك.. وراعني
أنني إليك.. أنا هربت
في كلّ زاوية.. أراك
وكلّ فاصلة كتبت
في الطيب، في غيم السجائر،
في الشراب إذا شربت
أنت القتيلة.. أم أنا

حتى بموتك.. ما استرحت

*

حسنا.. لم أقتلك أنت..

وإنما نفسي.. قتلت..

حقائب الدموع والبكاء

إذا أتى الشتاء..
وحركت رياحه ستائري
أحس يا صديقتي
بحاجة إلى البكاء
على ذراعيك..
على دفاتري..
إذا أتى الشتاء
وانقطعت عندلة العنادل
وأصبحت ..
كلُّ العصافير بلا منازل
يبتدىئ النزيف في قلبي .. وفي أناملتي..
كأنما الأمطار في السماء
تهطل يا صديقتي في داخلي..
عندئذ .. يغمرني
شوق طفولي إلى البكاء ..

على حرير شعرك الطويل كالسنابل..
كمركب أرهقه العياء
كطائر مهاجر..
يبحث عن نافذة تضاء
يبحث عن سقف له ..
في عتمة الجداول ..

*

إذا أتى الشتاء..
واغتال ما في الحقل من طيوب..
وخبأ النجوم في روائه الكئيب
يأتي إليّ الحزن من مغارة المساء
يأتي كطفل شاحب غريب
مبلل الخدين والرداء..
وأفتح الباب لهذا الزائر الحبيب
أمنحه السرير .. والغطاء
أمنحه .. جميع ما يشاء

*

من أين جاء الحزن يا صديقتي ؟
وكيف جاء؟
يحمل لي في يده..
زنابقاً رائعة الشحوب
يحمل لي ..

حقائب الدموع والبكاء..

حبيبتي هي القانون

أيتها الأنثى التي في صوتها
تمتزج الفضة . . بالنبيذ . . بالأمطار
ومن مرايا ركبتها يطلع النهار
ويستعد العمر للإبحار
أيتها الأنثى التي
يختلط البحر بعينها مع الزيتون
يا وردتي
ونجمتي
وتاج رأسي
ربما أكون
مشاعباً . . أو فوضويّ الفكر
أو مجنون
إن كنت مجنوناً . . وهذا ممكن
فأنت يا سيدتي
مسؤولة عن ذلك الجنون

أو كنت ملعوناً وهذا ممكن
فكلُّ من يمارس الحبَّ بلا إجازة
في العالم الثالثِ
يا سيدتي ملعونٌ
فسامحيني مرةً واحدةً
إذا انا خرجت عن حرفية القانون
فما الذي أصنع يا ريجانتي ؟
إن كان كل امرأة أحببتها
صارت هي القانون

حكاية انقلاب

أنا الذي أحرق ألف ليلةٍ وليلةٍ..
وخلص النساءَ..
من مخالب الأعراب..
أنا الذي حميت وردة الأنوثة
من هجمة الطاعون ...
والذباب..
أنا الذي جعلت من حبيبتي
مليكة تسير في ركابها..
الأشجار..
والنجوم..
والسحاب..
أنا الذي هرب قد هرب السلاح..
في أرغفة الخبز..
وفي لفائف التبغ..
وفي بطانة الثياب..

أنا الذي ذبحت شهريار في سريره..
أنا الذي أنهيت عصر الوأد..
والزواج بالمتعة..
والإقطاع..
والإرهاب...
... وحين قامت دولة النساء..
وارتفعت في الأفق البيارق...
توقف النضال بالبنادق..
وأبتدأ النضال
بالعيون ..والأهداب..

أشهد أن لا أمراه إلا أنت

أشهد أن لا امرأة
أتقنت اللعبة إلا أنت
واحتملت حماقتي
عشرة أعوام كما احتملت
واضطبرت على جنوني مثلما صبرت
وقلمت أظفاري
ورتبت دفاتري
وأدخلتني روضة الأطفال
إلا أنت ..

2

أشهد أن لا امرأة
تشبهني كصورة زيتية
في الفكر والسلوك إلا أنت
والعقل والجنون إلا أنت
والملل السريع

والتعلق السريع
إلا أنت ..
أشهد أن لا امرأة
قد أخذت من اهتمامي
نصف ما أخذت
واستعمرتني مثلما فعلت
وحررتني مثلما فعلت

3

أشهد أن لا امرأة
تعاملت معي كطفل عمره شهران
إلا أنت ..
وقدمت لي لبن العصفور
والأزهار والألعاب
إلا أنت ..
أشهد أن لا امرأة
كانت معي كريمة كالبحر
راقية كالشعر
ودللتنني مثلما فعلت
وأفسدتني مثلما فعلت
أشهد أن لا امرأة
قد جعلت طفولتي
تمتد للخمسين .. إلا أنت

4

أشهد أن لا امرأة
تقدر أن تقول إنها النساء .. إلا أنت
وإن في سُرَّتِها
مركزَ هذا الكون
إلا أنت
أشهد أن لا امرأة
تتبعها الأشجار عندما تسير
إلا أنت ..
ويشرب الحمام من مياه جسمها الثلجي
إلا أنت ..
وتأكل الخراف من حشيش إبطها الصيفي
إلا أنت
أشهد أن لا امرأة
إختصرت بكلمتين قصة الأنوثة
وحرَّضت رجولتي علي
إلا أنت ..

5

أشهد أن لا امرأة
توقّف الزمان عند نهدها الأيمن
إلا أنت ..
وقامت الثورات من سفوح نهدها الأيسر

إلا أنت ..
أشهد أن لا امرأة
قد غيرت شرائع العالم إلا أنت
وغيرت
خريطة الحلال والحرام
إلا أنت ..

6

أشهد أن لا امرأة
تجتاحني في لحظات العشق كالزلال
تغرقني .. تغرقني
تشعلني .. تطفئني
تكسرني نصفين كالهلال
أشهد أن لا امرأة
تحتل نفسي أطول احتلال
وأسعد احتلال
تزرعني
ورداً دمشقياً
ونعناعاً
وبرتقال
يا امرأة
اترك تحت شعرها أسئلتي
ولم تجب يوماً على سؤال

يا امرأة هي اللغات كلها
لكنها
تلمس بالذهن ولا تقال

7

أيتها البحرية العينين
والشمعية اليدين
والرائحة الحضور
أيتها البيضاء كالفضة
والمساء كالبلور
أشهد أن لا امرأة
على محيط خصرها . تجتمع العصور
وألف ألف كوكب يدور
أشهد أن لا امرأة .. غيرك يا حبيبتي
على ذراعيها تربى أول الذكور
وأخر الذكور

8

أيتها اللماحة الشفافة
العادلة الجميلة
أيتها الشهية البهية
الدائمة الطفولة
أشهد أن لا امرأة
تحررت من حكم أهل الكهف إلا أنت

وكسرت أصنامهم
وبددت أو هامهم
وأسقطت سلطة أهل الكهف إلا أنت
أشهد أن لا امرأة
استقبلت بصدرها خناجر القبيلة
واعتبرت حبي لها
خلاصة الفضيلة

9

أشهد أن لا امرأة
جاءت تماماً مثلما انتظرتُ
وجاء طول شعرها أطول مما شئت أو حلمتُ
وجاء شكل نهدھا
مطابقاً لكل ما خططت أو رسمت
أشهد أن لا امرأة
تخرج من سحب الدخان .. إن دخنت
تطير كالحمامة البيضاء في فكري .. إذا فگرتُ
يا امرأة .. كتبت عنها كتباً بحالها
لكنها برغم شعري كله
قد بقيت .. أجمل من جميع ما كتبتُ

10

أشهد أن لا امرأة
مارست الحب معي بمنتهى الحضاره

وأخرجتني من غبار العالم الثالث
إلا أنت
أشهد أن لا امرأة
قبلك حلت عقدي
وثقت لي جسدي
وحاورته مثلما تحاور القيثاره
أشهد أن لا امرأة
إلا أنت ..
إلا أنت ..
إلا أنت ..

هجم النفط مثل ذئب علينا

من بحار النزيف.. جاء إليكم
حاملاً قلبه على كفيه
ساحباً خنجر الفضيحة والشعر،
ونار التغيير في عينيه
نازلاً معطف العروبة عنه
قاتلاً، في ضميره، أبويه
كافراً بالنصوص، لا تسألوه
كيف مات التاريخ في مقلتيه
كسرتة بيروت مثل إناءٍ
فأتى ماشياً على جفنيه
أين يمضي؟ كل الخرائط ضاعت
أين يأوي؟ لا سقف يأوي إليه
ليس في الحي كله قرشي
غسل الله من قریش يديه
هجم النفط مثل ذئب علينا

فارتمينا قتلى على نعليه
وقطعنا صلاتنا.. واقتننا
أن مجد الغني في خصيتيه
أمريكا تجرّب السوط فينا
وتشد الكبير من أذنيه
وتبيع الأعراب أفلام فيديو
وتبيع الكولا إلى سيبويه
أمريكا رب.. وألف جبان
بيننا، راكم على ركبتيه
من خراب الخراب.. جاء إليكم
حاملاً موته على كتفيه
أيّ شعر ترى، تريدون منه
والمسامير، بعد، في معصميه؟
يا بلاداً بلا شعوب.. أفيقي
واسحبي المستبد من رجليه
يا بلاداً تستعذب القمع.. حتى
صار عقل الإنسان في قدميه
كيف يا سادتي، يغني المغني
بعدما خيّلوا له شفّتيه؟
هل إذا مات شاعرٌ عربيٌّ
يجدُ اليوم من يصلي عليه؟...
من شظايا بيروت.. جاء إليكم

والسكاكين مزّقت رنتيه
رافعاً راية العدالة والحب..
وسيف الجلاّد يومي إليه
قد تساوت كل المشانق طولاً
وتساوى شكل السجون لديه
لا يبوس اليدين شعري.. وأحرى
بالسلاطين، أن يبوسوا يديه

يوميات امرأة

لماذا في مدينتنا ؟
نعيش الحب تهريباً وتزويراً ؟
ونسرق من شقوق الباب موعداً
ونسطعطي الرسائل
والمشاويرا
لماذا في مدينتنا ؟
يصيدون العواطف والعصافير
لماذا نحن قصدير ؟
وما يبقى من الإنسان
حين يصير قصديراً ؟
لماذا نحن مزدوجون
إحساساً وتفكيراً ؟
لماذا نحن أرضيون ..
تحتيون .. نخشى الشمس والنورا ؟
لماذا أهل بلدتنا ؟
يمزقهم تناقضهم
ففي ساعات يقظتهم
يسبون الضفائر والتنانيرا

وحين الليل يطويهم
يضمّون التصاويرا
أسائل دائماً نفسي
لماذا لا يكون الحب في الدنيا ؟
لكل الناس
كل الناس
مثل أشعة الفجر
لماذا لا يكون الحب مثل الخبز والخمر ؟
ومثل الماء في النهر
ومثل الغيم، والأمطار ،
والأعشاب والزهر
أليس الحب للإنسان
عمرأ داخل العمر ؟
لماذا لا يكون الحب في بلدي ؟
طبيعياً
كلقيا الشجر بالشجر
ومنساباً
كما شعري على ظهري
لماذا لا يحب الناس في لين وفي يسر ؟
كما الأسماك في البحر
كما الأقمار في أفلاكها تجري
لماذا لا يكون الحب في بلدي
ضرورياً
كديوان من الشعر
أنا نهدي في صدري
كعصفورين
قد ماتا من الحرّ
كقديسين شرقيين متهمين بالكفر

كم اضطهدا
وكم رقدا على الجمر
وكم رفضا مصيرهما
وكم ثارا على القهر
وكم قطعاً لجامهما
وكم هرباً من القبر
متى سيفكُ قيدهما
متى ؟
يا ليتني ادري
نزلت إلى حديقتنا
أزور ربيعها الراجع
عجنت ترابها بيدي
حضنت حشيشها الطالع
رأيت شجيرة الدراق
تلبس ثوبها الفاقع
رأيت الطير محتفلاً
بعودة طيره الساجع
رأيت المقعد الخشبي
مثل الناسك الراجع
سقطت عليه باكية
كأنني مركب ضائع
أحتي الأرض ياربي ؟
تعبر عن مشاعرها
بشكل بارع ... بارع
أحتي الأرض ياربي
لها يوم .. تحب به ..
تبوح به ..
تضم حبيبها الراجع

وفوق العشب من حولي
لها سبب .. لها الدافع
فليس الزنبق الفارع
وليس الحقل ، ليس النحل
ليس الجدول النابع
سوى كلمات هذى الأرض ..
غير حديثها الرائع
أحس بداخلي بعثاً
بمزق قشرتي عني
وبدفعني لأن أعدو
مع الأطفال في الشارع
أريد ..
أريد ..
كأية زهرة في الروض
تفتح جفنها الدامع
كأية نحلة في الحقل
تمنح شهدها النافع
أريد ..
أريد أن أحيا
بكلّ خلية مني
مفاتيح هذه الدنيا
بمخمل ليلها الواسع
وبرد شتائها اللاذع
أريد ..
أريد أن أحيا
بكل حرارة الواقع
بكل حماقة الواقع
يعود أخي من الماخور ...

عند الفجر سكرانا ...
يعود .. كأنه السلطان ..
من سماه سلطانا ؟
ويبقى في عيون الأهل
أجملنا ... وأغلانا ..
ويبقى في ثياب العهر
أطهرنا ... وأنقانا ...
يعود أخي من الماخور
مثل الديك .. نشوانا
فسبحان الذي سواه من ضوء
ومن فحم رخيص نحن سوانا
وسبحان الذي يمحو خطاياهم
ولا يمحو خطايانا
تخيف أبي مراهقتي
يدق لها
طبول الذعر والخطر
يقاومها
يقاوم رغبة الخلجان
يلعن جراءة المطر
يقاوم دونما جدوى
مرور النسغ في الزهر
أبي يشقى
إذا سألت رياح الصيف عن شعري
ويشقى إن رأى نهدي
يرتفعان في كبر
ويغتسلان كالأطفال
تحت أشعه القمر
فما ذنبي وذنبيهما

هما مني هما قدري
متى يأتي ترى بطلي؟!..
لقد خبات في صدري
له ، زوجاً من الحجل
وقد خبات في ثغري
له كوزاً من العسل..
متى يأتي على فرس
له، مجدولة الخصل
ليخطفني
ليكسر باب معتقلي
فمنذ طفولتي وأنا
أمد على شبابيك
حبال الشوق والأمل
وأجدل شعري الذهبي كي يصعد
على خصلاته .. بطلي
يروني ..
شحوب شفتيتي الكبرى
هي الأخرى
تعاني ما أعانيه
تعيش الساعة الصفراء
تعاني عقده سوداء
تعصر قلبها عصراً
قطار الحسن مر بها
ولم يترك سوى الذكرى
ولم يترك من النهدين
إلا اللبف والقشرا
لقد بدأت سفينتها

تغوص .. وتلمس القعرا
أراقبها وقد جلست
بركن ، تصلح الشعرا
تصففه .. وتخربه
وترسل زفرة حرى
تلوب .. تلوب .. في الردهات
مثل ذبابة حيرى
وتقبع في محارثها
كنهر .. لم يجد مجرى
سأكتب عن صديقاتي
فقصة كل واحدة
أرى فيها .. أرى ذاتي
ومأساة كمأساتي
سأكتب عن صديقاتي
عن السجن الذي يمتص أعمار السجينات
عند الزمن الذي أكلته أعمدة المجلات
عن الأبواب لا تفتح
عن الرغبات وهي بمهدا تذبح
عن الحلمات تحت حريرها تنبح
عن الزنزانة الكبرى
وعن جدرانها السود
وعن آلاف .. آلاف الشهداء
ذفن بغير أسماء
بمقبرة التقاليد
صديقاتي دمي ملفوفة بالقطن
داخل متحف مغلق
نقود صكها التاريخ ، لا تهدى ولا تنفق
مجاميع من الأسماك في أحواضها تخنق

وأوعيه من البلور مات فراشها الأزرق
بلا خوف
سأكتب عن صديقتي
عن الأغلال دامية بأقدام الجميلات
عن الهذيان .. والغثيان .. عن ليل الضراعات
عن الأشواق تدفن في المخدات
عن الدوران في اللاشيء
عن موت الهنيئات
صديقتي
رهائن تشتري وتباع في سوق الخرافات
سبايا في حريم الشرق
موتى غير أموات
يعشن ، يمتن مثل الفطر في جوف الزجاجات
صديقتي
طيور في مغائرها
تموت بغير أصوات
خلوت اليوم ساعات
إلى جسدي
أفكر في قضاياه
أليس له هو الثاني قضاياه ؟
وجنته وحمّاه ؟
لقد أهملته زمناً
ولم أعبأ بشكواه
نظرت إليه في شغف
نظرت إليه من أحلى زواياه
لمست قبابه البيضاء
غابته ومرعاه
له لون حليبي

كأن الفجر قطره وصفاه
أسفت لأنه جسدي
أسفت على ملاسته
وثرث على مصممه ، وعاجنه وناحته
رثيث له
لهذا الوحش يأكل من وسادته
لهذا الطفل ليس تنام عيناه
نزعت غلالتي عني
رأيت الظل يخرج من مراياه
رأيت النهر كالعصفور ... لم يتعب جناحاه
تحرر من قطيفته
ومزق عنه " تفتاه "
حزنت أنا لمرآه
لماذا الله كوره ودوره .. وسواه ؟
لماذا الله أشقاني
بقتنته .. وأشقاه ؟
وعلقه بأعلى الصدر
جرحاً .. لست أنساه
لماذا يستبد أبي ؟
ويرهقني بسلطته .. وينظر لي كأنية
كسطر في جريدته
ويحرص أن أظل له
كأني بعض ثروته
وان أبقى بجانبه
ككرسي بحجرتة
أيكفي أنني ابنته
وأني من سلالته
أيطعمني أبي خبزاً ؟

أُغمرني بنعمته ؟
كفرت أنا .. بمال أبي
بلؤلؤه ... بفضته
أبي لم ينتبه يوماً
إلى جسدي .. ونورته
أبي رجل أناني
مريض في محبته
مريض في تعنته
يثور إذا رأى صدري
تمادى في استدارته
يثور إذا رأى رجلاً
يقرب من حقيقته
أبي ...
لن يمنع التفاح عن إكمال دورته
سيأتي ألف عصفور
ليسرق من حقيقته
على كراستي الزرقاء .. أستلقي بحرية
وأبسط فوقها في فرح وعفوية
أمشط فوقها شعري
وارمي كل أثوابي الحريرية
أنام , أفيق , عارية ..
أسير .. أسير حافية
على صفحات أوراق السماوية
على كراستي الزرقاء
أسترخي على كفي
وأهرب من أفاعي الجنس
والإرهاب ..
والخوف ..

وأصرخ ملء حنجرتي
أنا امرأة .. أنا امرأة
أنا إنسانة حية
أيا مدن التواييت الرخامية
على كراستي الزرقاء
تسقط كل أقنعتي الحضارية
ولا يبقى سوى نهدي
نكوم فوق أعطيتي
كشمس استوائية
ولا يبقى سوى جسدي
يعبر عن مشاعره
بلهجته البدائية
ولا يبقى .. ولا يبقى ..
سوى الأنثى الحقيقة
صباح اليوم..
فاجأني
دليل أنوثتي الأول
كنمت تمزقي
وأخذت أرقب روعة الجدول
وأتبع موجه الذهبي
أتبعه ولا أسأل
هنا .. أحجار ياقوت
وكنز لألى مهمل
هنا .. نافورة جذلي
هنا .. جسر من المخمل
.. هنا
سفن من التوليب

ترجو الأجل الأجل
هنا .. حبر بغير يد
هنا .. جرح ولا مقتل
أأجل منه ..
هل بحر بعزة موجه يخلج ؟
أنا للخصب مصدره .. أنا يده
أنا المغزل ...

التحديات

أتحدى..
من إلى عينيك، يا سيدتي، قد سبقوني
يحملون الشمس في راحتهم
وعقود الياسمين..
أتحدى كل من عاشرتهم
من مجانيين، ومفقودين في بحر الحنين
أن يحبوك بأسلوب، وطيشي، وجنوني..
أتحدى..
كتب العشق ومخطوطاته
منذ آلاف القرون..
أن تري فيها كتاباً واحداً
فيه، يا سيدتي، ما ذكروني
أتحداك أنا.. أن تجدي
وطناً مثل فمي..
وسريراً دافئاً.. مثل عيوني
أتحداهم جميعاً..
أن يخطوا لك مكتوب هوى

كمكاتب غرامي..
أو يجيئوك - على كثرتهم -
بحروف كحروفي، وكلام ككلامي..
أتحداك أنا أن تذكرني
رجلاً من بين من أحببتهم
أفرغ الصيف بعينيك.. وفيروز البحور
أتحدى..
مفردات الحب في شتى العصور
والكتابات علي جدران صيدون وصور
فاقرئي أقدم أوراق الهوى..
تجديني دائماً بين السطور
إنني أسكن في الحب..
فما من قبلة..
أخذت.. أو أعطيت
ليس لي فيها حلول أو حضور..
أتحدى أشجع الفرسان.. يا سيدتي
وبواريد القبيلة..
أتحدى من أحبك ومن أحببتهم
منذ ميلادك.. حتى صرت كالنخل العراقي.. طويلاً
أتحداهم جميعاً..
أن يكونوا قطرة صغرى ببحري..
أو يكونوا أطفؤوا أعمارهم
مثلما أطفأت في عينيك عمري..
أتحداك أنا.. أن تجدي
عاشقاً مثلي..
وعصراً ذهبياً.. مثل عصري
فارحلي، حيث تريد.. ارحلي..
واضحكي،

وابكي،
وجوعي،
فأنا أعرف أن لن تجدي
موطناً فيه تنامين كصدري..

حُبّ إستثنائي.. لامرأة إستثنائية

1

أكثر ما يعذبني في حبك..
أنني لا أستطيع أن أحبك أكثر..
وأكثر ما يضايقني في حواسي الخمس..
أنها بقيت خمساً.. لا أكثر..
إن امرأة إستثنائية مثلك
تحتاج إلى أحاسيس إستثنائية..
وأشواق إستثنائية..
ودموع إستثنائية..
وديانة رابعة..
لها تعاليمها ، وطقوسها، وجنتها، ونارها..
إن امرأة إستثنائية مثلك..
تحتاج إلى كتب تكتب لها وحدها..
وحزن خاص بها وحدها..

وموتٍ خاصٍ بها وحدها
وزمنٍ بملايين الغرف..
تسكن فيه وحدها..
لكنني وأسفاه..
لا أستطيع أن أعجن الثواني
على شكل خواتم أضعها في أصابعك
فالسنة محكومة بشهورها
والشهور محكومة بأسابيعها
والأسابيع محكومة بأيامها
وأيامي محكومة بتعاقب الليل والنهار
عينيك البنفسجيتين...

2

أكثر ما يعذبني في اللغة.. أنها لا تكفيك..
وأكثر ما يضايقني في الكتابة أنها لا تكتبك..
أنت امرأةٌ صعبة..
كلماتي تلهث كالخيول على مرتفعاتك..
ومفرداتي لا تكفي لاجتياز مسافاتك الضوئية..
معك لا توجد مشكلة..
إن مشكلتي هي مع الأبجدية..
مع ثمان وعشرين حرفاً، لا تكفيني لتغطية بوصة
واحدةٍ من مساحات أنوثتك..
ولا تكفيني لإقامة صلاة شكرٍ واحدةٍ لوجهك

الجميل...
إن ما يحزنني في علاقتي معك..
أنت امرأة متعددة..
واللغة واحدة..
فماذا تقترحين أن أفعل؟
كي أتصالح مع لغتي..
وأزيل هذه الغربة..
بين الخزف، وبين الأصابع
بين سطوحك المصقولة..
وعرباتي المدفونة في الثلج..
بين محيط خصرك..
وطموح مراكبي..
لاكتشاف كروية الأرض..

3

ربما كنت راضية عني..
لأنني جعلتك كالأميرات في كتب الأطفال
ورسمتك كالملائكة على سقوف الكنائس..
ولكني لست راضياً عن نفسي..
فقد كان بإمكانني أن أرسمك بطريقة أفضل.
وأوزع الورد والذهب حول إيتيك.. بشكل أفضل.
ولكن الوقت فاجأني.
وأنا معلق بين النحاس.. وبين الحليب..

بين النعاس.. وبين البحر..
بين أظافر الشهوة.. ولحم المرايا..
بين الخطوط المنحنية.. والخطوط المستقيمة..
ربما كنت قانعة، مثل كل النساء،
بأية قصيدة حبٍ . تقال لك..
أما أنا فغير قانع بقناعاتك..
فهناك مئات من الكلمات تطلب مقابلي..
ولا أقابلها..
وهناك مئات من القصائد..
تجلس ساعات في غرفة الإنتظار..
فأعذر لها..
إنني لا أبحث عن قصيدة ما..
لامرأة ما..
ولكنني أبحث عن "قصيدتك" أنت....

4

إنني عاتبٌ على جسدي..
لأنه لم يستطع ارتداءك بشكل أفضل..
وعاتبٌ على مسامات جلدي..
لأنها لم تستطع أن تمتصك بشكل أفضل..
وعاتبٌ على فمي..
لأنه لم يلتقط حبات اللؤلؤ المتناثرة على امتداد
شواطئك بشكل أفضل..

وعاتبٌ على خيالي..
لأنه لم يتخيل كيف يمكن أن تنفجر البروق،
وأقواس قزح..
من نهدين لم يحتفلا بعيد ميلادهما الثامن عشر..
بصورة رسميه...
ولكن.. ماذا ينفع العتب الآن..
بعد أن أصبحت علاقتنا كبرتقالةٍ شاحبة،
سقطت في البحر..
لقد كان جسدك مليئاً باحتمالات المطر..
وكان ميزان الزلازل
تحت سرتك المستديرة كغم طفل..
يتنبأ بهتزاز الأرض..
ويعطي علامات يوم القيامة..
ولكنني لم أكن ذكياً بما فيه الكفايه..
لألتقط إشاراتك..
ولم أكن مثقفاً بما فيه الكفايه..
لأقرأ أفكار الموج والزبد
وأسمع إيقاع دورتك الدمويه....

5

أكثر ما يعذبني في تاريخي معك..
أنني عاملتك على طريقة بيدبا الفيلسوف..
ولم أعاملك على طريقة رامبو.. وزوربا..

وفان كوخ.. وديك الجن.. وسائر المجانين
عاملتك كأستاذ جامعي..
يخاف أن يحب طالبتة الجميله..
حتى لا يخسر شرفه الأكاديمي..
لهذا أشعر برغبة طاغية في الاعتذار إليك..
عن جميع أشعار التصوف التي أسمعتك إياها..
يوم كنت تأتين إلي..
مليئة كالسنبله..
وطازجة كالسمكة الخارجة من البحر..

6

أعتذر إليك..
بالنيابة عن ابن الفارض، وجلال الدين الرومي،
ومحي الدين بن عربي..
عن كل التنظيرات.. والتهويمات.. والرموز..
والأقنعة التي كنت أضعها على وجهي، في
غرفة الحب..
يوم كان المطلوب مني..
أن أكون قاطعاً كالشفرة
وهجومياً كفهد إفرقي..
أشعر برغبة في الاعتذار إليك..

عن غبائي الذي لا مثيل له..
وجبني الذي لا مثيل له..
وعن كل الحكم المأثورة..
التي كنت أحفظها عن ظهر قلب..
وتلوتها على نهديك الصغيرين..
فبكيا كطفلين معاقبين.. وناما دون عشاء..

7

أعترف لك يا سيدتي..
أنك كنت امرأةً إستثنائية
وأن غبائي كان استثنائياً...
فاسمحي لي أن أتلو أمامك فعل الندامة
عن كل مواقف الحكمة التي صدرت عني..
فقد تأكد لي..
بعدما خسرت السباق..
وخسرت نقودي..
وخيولي..
أن الحكمة هي أسوأ طبق نقدمه..
لامرأةٍ نحبها....

إلى حبيبتي في رأس السنة..

1

أنقل حبي لك من عام إلى عام..
كما ينقل التلميذ فروضه المدرسية إلى دفتر جديد
أنقل صوتك.. ورائحتك.. ورسائلك..
ورقم هاتفك.. وصندوق بريدك..
وأعلقها في خزانة العام الجديد..
وأمنحك تذكرة إقامة دائمة في قلبي..

2

إنني أحبك..
ولن أتركك وحدك على ورقة 31 ديسمبر أبداً
سأحملك على ذراعي..
وأنتقل بك بين الفصول الأربعة..
ففي الشتاء، سأضع على رأسك قبعة صوف حمراء..
كي لا تبردي..
وفي الخريف، سأعطيك معطف المطر الوحيد

الذي أملكه..
كي لا تتبلى..
وفي الربيع..
سأتركك تنامين على الحشائش الطازجة..
وتتناولين طعام الإفطار..
مع الجنادب والعصافير..
وفي الصيف..
سأشتري لك شبكة صيدٍ صغيره..
لتصطادي المحار..
وطيور البحر..
والأسماك المجهولة العنوين...

3

إنني أحبك..
ولا أريد أن أربطك بذاكرة الأفعال الماضية..
ولا بذاكرة القطارات المسافرة..
فأنت القطار الأخير الذي يسافر ليلاً ونهاراً
فوق شرايين يدي..
أنت قطاري الأخير..
وأنا محطتك الأخيرة..

4

إنني أحبك..
ولا أريد أن أربطك بالماء.. أو الريح
أو بالتاريخ الميلادي أو الهجري..
ولا بحركات المد والجزر..
أو ساعات الخسوف والكسوف
لا يهمني ما تقوله المرصد..
وخطوط فناجين القهوة..
فعيناك وحدهما هما النبوءة
وهما المسؤولتان عن فرح هذا العالم...

5

أحبك..
وأحب أن أربطك بزمني.. وبطقسي..
وأجعلك نجمة في مداري..
أريد أن تأخذي شكل الكلمة..
ومساحة الورقه..
حتى إذا نشرت كتاباً.. وقرأه الناس..
عثروا عليك، كالوردة في داخله..
أريد أن تأخذي شكل فمي..
حتى إذا تكلمت..
وجدك الناس تستحمين في صوتي..
أريدك أن تأخذي شكل يدي..

على الطاولة..
وجدك الناس نائمة في جوفها..
كفراشة في يد طفل..
إنني لا أحترف طقوس التهنة..
إنني أحترف العشق..
وأحترفك..
يتجول هو فوق جلدي..
وتتجولين أنت تحت جلدي..
وأما أنا..
فأحمل الشوارع والأرصفة المغسولة بالمطر..
على ظهري.. وأبحث عنك..

6

لماذا تتأمرين علي مع المطر؟ ما دمت تعرفين..
أن كل تاريخي معك.. مقترنٌ بسقوط المطر..
وأن الحساسية الوحيدة التي تصيبني..
عندما أشم رائحة نهديك..
هي حساسية المطر..
لماذا تتأمرين علي؟ ما دمت تعرفين..
أن الكتاب الوحيد الذي أقرأه بعدك..
هو كتاب المطر..

7

إنني أحبك..
هذه هي المهنة الوحيدة التي أتقنها..
ويحسدني عليها أصدقائي.. وأعدائي..
قلبك.. كانت الشمس، والجبال، والغابات..
في حالة بطالة..
واللغة بحالة بطالة.. والعصافير بحالة بطالة..
فشكراً لأنك أدخلتني المدرسة..
وشكراً.. لأنك علمتني أبجدية العشق..
وشكراً .. لأنك قبلت أن تكوني حبيبتني..

تجليات صوفيه

عندما تسطع عيناك كقنديل نحاسي
على باب ولي من دمشق
أفرش السجادة التبريز في الأرض وأدعو للصلاه
وأنادي، ودموعي فوق خدي: مدد
يا وحيدا.. يا أحد..
أعطني القوة كي أفنى بمحوبي،
وخذ كل حياتي..

2

عندما يمتزج الأخضر، بالأسود، بالأزرق،
بالزيتي، بالوردي، في عينيك، يا سيدتي
تعتريني حالة نادره..
هي بين الصحو والإغماء، بين الوحي والإسراء،
بين الكشف والإيماء، بين الموت والميلاد،
بين الورق المشتاق للحب.. وبين الكلمات..
وتناديني البساتين التي من خلفها أيضاً بساتين،

الفراديس التي من خلفها أيضا فراديس،
الفوانيس التي من خلفها أيضا فوانيس..
التي من خلفها أيضا زوايا، وتكايا، ومريدون
وأطفال يغنون.. وشمع .. وموالد..
وأرى نفسي طيور من ذهب..
وسماء من ذهب
ونوافير يثرثرن بصوت من ذهب
وأرى، فيما يرى النائم، شباكين مفتوحين..
من خلفهما تجري ألوف المعجزات..

3

عندما يبدأ في الليل، احتفال الصوت والضوء..
بعينيك .. وتمشي فرحا كل المآذن..
يبدأ العرس الخرافي الذي ما قبله عرس..
وتأتي سفن من جزر الهند، لتهديك عطورا وشموسا..
عندها..

يخطفني الوجد إلى سبع سماوات..
لها سبعة أبواب..
لها سبعة حراس..
بها سبع مقاصير..
بها سبع وصيفات..
يقدمن شرابا في كؤوس قمرية..
ويقدمن لمن مات على العشق،
مفاتيح الحياة السرمدية..
وإذا بالشام تأتيني .. نهورا.. ومياها..
وعيوننا عسلية..
وإذا بي بين أمي، ورفاقي،
وفروصي المدرسية..

فأنادي، ودموعي فوق خدي:

مدد!

يا وحيدا، يا أحد
أعطني القدرة كي أصبح في علم الهوى..
واحدا من أولياء " الصالحيه " ...

4

عندما يرتفع البحر بعينيك كسيف أخضر في الظلمات
تعتريني رغبة للموت مذبوحا على سطح المراكب
وتناديني مسافات..
تناديني بحيرات..
تناديني كواكب..
عندما يشطرني البحر إلى نصفين..
حتى تصبح اللحظة في الحب، جميع اللحظات..
ويجيء الماء كالمجنون من كل الجهات..
هادما كل جسوري..
ماحيا كل تفاصيل حياتي..
يتولاني حنين للرحيل
حيث خلف البحر بحر..
ووراء الجزر مد .. ووراء المد جزر..
ووراء الرمل جنات لكل المؤمنين
ومنارات..
ونجم غير معروف..
وعشق غير مألوف ..
وشعر غير مكتوب..
ونهد .. لم تمزقه سيوف الفاتحين.

5

عندما أدخل في مملكة الإيقاع، والنعناع، والماء،

فلا تسعجليني..
فلقد تأخذني الحال، فأهتز كدرويش على قرع الطبول
مستجيرا بضريح السيد الخضر . وأسماء الرسول ..
عندما يحدث هذا..
فبحق الله، يا سيدتي، لا توقظيني.
واتركيني..
نائما بين البساتين التي أسكرها الشعر، وماء الياسمين
علني أحلم في الليل بأني..
صرت قنديلا على باب ولي من دمشق..

6

عندما تبدأ في عينيك آلاف المرايا بالكلام
ينتهي كل كلام..
وأراني صامتا في حضرة العشق،
ومن في حضرة العشق يجاوب؟
فإذا شاهدتني منخطف اللون، غريب النظرات..
وإذا شاهدتني أقرأ كالطفل صلاتي..
وعلى رأسي فراشات. وأسراب حمام..
فأحبيني، كما كنت، بعنف وجنون..
واعصري قلبي، كالتفاحة الحمراء، حتى تقتليني..
وعلى الدنيا السلام...

الْمُتَنَبِّيّ

تستطيع بذر النفط...
أن تضخ عشرة ملايين برميل يومياً
ولكنها، لا تستطيع أن تضخ...
متنبياً واحداً!!!..

الفهرس

4	نزار وارتعاش الروح
4	أ. د. حسين جمعة
17	القصيدة الدمشقية
21	ترصيع بالذهب على سيف دمشقي
30	من مفكرة عاشق دمشقي
38	خمس رسائل إلى أمي
43	قانا
49	القدس
52	أطفال الحجارة
54	منشورات فدائية على جذران إسرائيل
66	دكتورة شرف في كيمياء الحجر
73	هوامش على دفتر النكسة
82	المهرولون
89	متى يعلنون وفاة العرب
97	قصيدة بلقيس
115	قصيدة اعتذار لأبي تمام
120	ديك الجن الدمشقي
124	حقائب الدموع والبكاء

127.....	حببتي هي القانون
129.....	حكاية انقلاب
131.....	أشهد أن لا أمراه إلا أنت
138.....	هجم النفط مثل ذئب علينا
141.....	يوميات امرأة
153.....	التحديات
156.....	حُبّ إستثنائي.. لامرأة إستثنائية
163.....	إلى حبيبتي في رأس السنة..
168.....	تجليات صوفيه
172.....	المنتبى